1

القلب السليم

{ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {88} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {89}}

إعداد : راجية الرحمان – أم عمر

جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى :-

" اضمنوا لى ستاً من أنفسكم ؛ أضمن لكم الجنة :-

اصدقوا إذا حدَّثتم ،
وأوفوا إذا وعدتم ،
وأدُّوا إذا ائتمنتم ،
وغضوا أبصاركم ،
واحفظوا فروجكم ،
وكفُّوا أيديكم ".

فى هذه الرسالة

ما أهمية القلب السليم ؟
ما هو القلب السليم ؟
ما السبيل إلى القلب السليم ؟
ما الخطر على صاحب القلب السليم ؟
كيف نحافظ على سلامة قلوبنا ؟

رقم الإيداع: 7795 / 2007

أهديها إلى :-

كل مـــن أراد الله ، و تعثرت به الخطوات ، و تفرقت به الطرقات ، و تاهت قدماه عن السبيل الرشيد .
إلى كل من ضلّ عن سبيل ربه في شعاب الدنيا ، و لكنه ملّ معصيته ،و ملّ هجره لربه .

-إلى كل من اشتاق إلى أن يعود إنساناً ، يمتلك قلباً ، يعرف كيف يحب الله .

" و ما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، و إليه أنيب "

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، و الصلاة و السلام
على الهادي البشير ، الرحمة المهداة ، سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ،و
على آله و صحبه و التابعين ، و تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

و (سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)، ثم أما بعد :-

فإن الإنسان ما خلق ليلهو ويلعب ،و إنما ليعرف خالقه، و يعبده، ويخدم
دينه ،ثم يموت ،فتبدأ الرحلة الهامة في حياته ،و هي مرحلة الحساب و الجزاء
، فإما جنة و إما نار ،كما قال الله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
{56}) سورة الذاريات، (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ {
115}) سورة المؤمنون، (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ
الْغُرُورِ {185})سورة آل عمران.

و لكن هذه الزحزحة ، و هذه النجاة مشروطة بشرط عظيم خطير ،(يَوْمَ لَا
يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {88} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {89}) الشعراء، فهل
نحن نمتلك ذلك القلب السليم ،الذى لا نجاة يوم القيامة إلا به ؟أم أن النجاة
بالنسبة لنا أمانيّ ، نطلبها بلا عمل ولا أسباب ؟

*إن الكثير منا لا يعلم ما هو القلب السليم ،ولا ما هي أهميته ، ولا كيف نصل
إليه ،ولا كيف نحافظ عليه من الأخطار المحدقة به و بسلامته . لذا آثرت أن
أبين هذه الأشياء المهمة لعلنا نُؤتى وإياكم ذلك القلب السليم ونُرزق به
النجاة : فى الدنيا من الفتن ، وفى الآخرة من غضب الله وعذابه .

أسألك اللهم أن تتقبل هذا العمل ،وأن تجعله خالصاً لوجهك الكريم ، وأن تنفعنا به، وتعمّ به النفع للمسلمين، وترزقنا جميعا العمل بما فيه على الوجه الذي يرضيك عنا ،والصلاة والسلام على خير المرسلين

1-ما أهمية القلب السليم ؟

-إن القلب هو أهم ما يمتلكه الإنسان من أجزائه ،فهو محل نظر الله عز وجلّ، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، وأشار بأصابعه إلى صدره)/ رواه مسلم / (2564)، كما أن صلاح الجسد منوط بصلاح هذا القلب، كما رُوى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم : (ألا إن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا و هى القلب)الدارمي / (2531) .

- و أن إيمان العبد لا ينصلح إلا بصلاح هذا القلب ، كما فى حديث أنس المرفوع :((لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه)) مسند الإمام أحمد.

- كما أن قبول العمل لا يتم إلا أن يتم فيه عمل القلب ؛ من الصدق والإخلاص لله عز وجلّ ،كما فى الحديث : (إنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى) (4890) / البيهقى

- كما أن النجاة يوم القيامة متعلقة بسلامة هذا القلب : (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {88} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {89}) سورة الشعراء.

-كما أن علوّ الدرجات ، والارتقاء مع الله عز وجلّ هو ثمرة صلاح هذا القلب ، فما سبق أبو بكر قومه إلا بشيء وقر فى قلبه .

-كما أن الإيمان هو ما وقر فى القلب و صدّقه العمل ، فالقلب قبل القالب فى علاقة العبد بربه .

– و من أخطر ما لهذا القلب من أهمية :أن أدواء القلب قد تبدد الأعمال تبديداً ؛ مثلما أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، حتى وإن كانت أعمالاً عظاماً ،وكما ورد فى الحديث القدسى ما يفيد أن عدم الإخلاص يضيع العمل :–

(فعن أبى هريرة رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه :رجل استشهد ،فأتى به فعرّفه نعمه ،فعرفها ،قال فما عملت فيه ؟ قال :قاتلت فيك حتى استشهدت ،قال : كذبت ، و لكنك قاتلت لأن يقال جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، حتى ألقى فى النار ، و رجل تعلّم العلم و علّمه ،و قرأ القرآن ، فأتى به فعرّفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلّمت العلم و علّمته ، و قرأت فيك القرآن ،قال : كذبت ، و لكنك تعلمت العلم ليقال عالم ،و قرأت القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به ،فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، و رجل وسّع الله عليه ،و أعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرّفه نعمه ،فعرفها ،قال : فما عملت فيها ؟ قال:ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال :كذبت ، و لكنك فعلت ليقال :هو جواد ،فقد قيل ،ثم أمر به ،فسحب على وجهه ،ثم ألقى فى النار)رواه النسائي ،وهو حديث صحيح.

فكم من عمل بدنىّ أو مالىّ خلا من عمل القلب فأصبح هباءً منثوراً ،كما قال تعالى:{ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا {23} } سورة الفرقان، وكم من عملٍ ظاهره الصلاح ،فسد فيه عمل القلب فأصبح وبال أمر صاحبه و مدعاة لدخوله نار جهنم ،كما تقدم فى حديث الثلاثة .

– كما أن اليأس من رحمة الله – وهو عمل قلبي – يهلك صاحبه، ويدرجه مع الكافرين.

– فالقلب بالنسبة للعمل كالروح بالنسبة للجسد، فالجسد الخالى من الروح ليس لصاحبه أدنى قيمة ولا أهمية، وكذلك العمل الذي يخلو من عمل القلب.

1) – ما هو القلب السليم ؟

الحق أن القلب السليم كأكثر آى القرآن قد اختلف فى تفسيره ، وقد آثرت أن أنقل ما جاء عنه فى أكثر التفاسير ،لعل الله يهدينا للمعنى الصائب ،و الحق أن هذه المعانى وإن اختلفت فيها الكلمات إلا أنها ترجع كلها لمعنى واحد ؛ ألا وهو القلب الخالص لله ، المخلّص من كل شوب ،ومن كل إثم ،و من كل شر.

* تفسيرات السلف للقلب السليم :-

جاء فى فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير ،لمحمد بن عليّ الشوكاني ،فى المجلد الرابع (ص/106):-

0(أى يوم لا ينفع فيه المال والبنون أحداً من الناس ،و الابن هو أخص القرابة و أولاهم بالحماية و الدفع والنفع ، فإذا لم ينفع ،فغيره من القرابة و الأعوان بالأولى.

و الاستثناء بقوله :{ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } قيل هو منقطع :أى :لكن من أتى الله بقلب سليم).

– و اختلف فى معنى القلب السليم :فقيل:السليم من الشرك ،فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد ،قاله أكثر المفسرين .

وقال سعيد بن المسيّب :–القلب السليم : الصحيح ،و هو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض ،وقيل هو القلب الخالى من البدعة المطمئن إلى السنة ،وقيل : السالم من آفة المال و البنين ،وقال الضحاك :السليم : الخالص .

و قال الجنيد :السليم فى اللغة : اللديغ ، فمعناه أنه قلب كاللديغ من خوف الله تعالى ،وهذا تحريف و تعكيس لمعنى القرآن ، وقال الرازى: أصح الأقوال : أن المراد منه :سلامة النفس من الجهل و الأخلاق الرذيلة.

2*وجاء فى مختصر تفسير ابن كثير، المجلد الثاني :-

أى سالم من الدنس و الشرك . ثم تكرر ما قيل فى فتح القدير ، ثم قال :أى و لو افتدى بمن على الأرض جميعاً ،ولا ينفع يومئذٍ إلا إيمان بالله وإخلاص الدين له.

3* وجاء فى الدر المنثور فى التفسير المأثور ،لجلال الدين السيوطى، المجلد السادس، (ص/308):-

(السليم) من الشرك و ليس فيه شك فى الحق .

وأخرج عبد بن حميد عن عون ،قال :-ذكروا الحجاج عند ابن سيرين ،فقال : (غير ما تقولون أخوف على الحجاج عندى) ، قلت : وما هو ؟ قال : إن كان لقى الله بقلب سليم ، فقد أصاب الذنوب خير منه)،

قلت :وما القلب السليم ؟ قال: أن يعلم أنه لا إله إلا الله .

4* و جاء فى جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى ،الجزء التاسع عشر ، (ص/87) :-

والذى عنى به من سلامة القلب فى هذا الموضع : هو سلامة القلب من الشك فى توحيد الله ،والبعث بعد الممات .**

و قيل عن مجاهد :–لا شك فيه .

5* و جاء فى تفسير القرآن العظيم ،مسنداً عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين ،للإمام الحافظ الرازى بن أبى حاتم ،فى الجزء الثامن ، (ص/2783– 2784) . – عن ابن سيرين : قال : يعلم بأن الله حق ، و أن الساعة قائمة ،وأن الله يبعث من فى القبور

عن ابن عباس : قال شهادة أن لا إله إلا الله .

– عن مجاهد : سليم من الشرك .

– و عن مجاهد أيضاً : ليس فيه شك فى الحق .

عن الحسن : سليم من الشرك .
و عن عبد الرحمن بن زيد :سليم من الشرك ، أما الذنوب فليس يسلم منها أحد .
– عن الضحاك :قال : مخلص .

** ليس معنى هذا الكلام أن يقول كل إنسان أنا أصدق بالبعث بعد الممات بلا شك ،و أوّحد الله بلا شريك ، فالأمر أكبر من ذلك بكثير ، فالقول –وحده– فى هذا الأمر لا ينفع ،بل اليقين القلبي ،مع العمل الذى يثبت أن الإنسان مصدق ،و سيأتى تبيينه إن شاء الله تعالى .

–عن هشام عن أبيه :قال لا يكون لعاناً .

-عن الضحاك :الناصح لله في خلقه .

6 * جاء فى تفسير الماوردى المسمى (النكت و العيون)،لأبى الحسن الماوردى البصرى ،فى الجزء الثالث ،(ص/201) :-

قوله تعالى (بقلب سليم) فيه خمسة أوجه :-
-أحدها : سليم من الشك ، قاله مجاهد .

-الثانى : سليم من الشرك ،قاله الحسن ، وابن زيد .

- الثالث : من المعاصى ، لأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح .

-الرابع : أنه الخالص ، قاله الضحاك .

-الخامس : أنه الناصح فى خلقه ، قاله عبد الرحمن بن أبى حاتم .

-و يحتمل سادساً : سليم القلب من الخوف فى القيامة ، لما تقدم من البشرى عند المعاينة .

7 * و جاء فى نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور ، للإمام المفسر : برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى ،الجزء الرابع عشر ، (ص / 57) :-
-(السليم) أى عن مرض غيّره عن الفطرة الأولى التى فطره الله عليها ، وهى الإسلام ؛ الذى رأسه التوحيد ، والاستقامة على فعل الخير، وحفظ طريق السنة ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ،ليس فيها من جدعاء ، فإن المال والبنون يشفعان بما تصرف فيهما من خير ،و الاستثناء مفرع .

8* وجاء فى الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، فى المجلد الثالث ، (ص / 118) :-

أى لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله ، حيث أنفقه فى طاعة الله ،ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين و علّمهم الشرائع

و يجوز على هذا :- إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين . (ومعنى سلامة القلب : سلامته من آفات الكفر و المعاصى).

9* وجاء فى تفسير القرطبى ،لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ،الجزء السابع ، (ص/4831) :-

واختلف فى القلب السليم ، فقيل (00000تكرار ما سبق) ، ثم قال :-

-وقد روى عن عروة أنه قال :يا بنى لا تكونوا لعانين ، فإن إبراهيم لم يلعن شيئاً قط ،قال تعالى : (إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ).

-وفى صحيح مسلم : من حديث أبى هريرة : عن النبى صلى الله عليه و سلم قال :-(يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير) ، يريد -والله أعلم - أنها مثلها فى أنها خالية من كل ذنب ،سليمة من كل عيب ،لا خبرة لهم بأمور الدنيا .كما روي عن أنس بن مالك قال :قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :- (أكثر أهل الجنة البله) وهو حديث صحيح.

أى البله عن معاصى الله ،قال الأزهرى :الأبله هنا هو الذى طبع على الخير ،وهو غافل عن الشر لا يعرفه .

و قال القتبى : البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور و حسن الظن

بالناس .

10 * و جاء فى كتاب مجموعة من التفاسير (البيضاوى – والنسفى – والخازن– وابن عباس)، أو التفسيرين العجيبين ،فى المجلد الرابع، (ص / 479 –480) :-

1)–أى لا ينفعان أحداً إلا مخلصاً ،سليم القلب عن الكفر و الميل إلى المعاصى و سائر آفاته ، أو لا ينفعان إلا مال من هذا شأنه و بنوه ، حيث أنفق ماله فى سبيل البر ، و أرشد بنيه إلى الحق ، و حثهم على الخير ، و قصد بهم أن يكونوا عباد الله ، مطيعين ، شفعاء له يوم القيامة .

–وقيل الاستثناء لما دل عليه المال والبنون ، أى لا ينفع غنى الأغنياء ، وقيل منقطع ؛ والمعنى :– ولكن سلامة من أتى الله بقلب سليم ، تنفعه .

2)–أى خالص من الشك و الشرك ، فأما الذنوب ؛فلا يسلم منها أحد . وتكرار .....

3)–أى عن الكفر والنفاق ، فقلب الكافر والمنافق مريض ؛ لقوله تعالى : (فى قلوبهم مرض)، أى إن المال إذا صرف فى وجوه البر ،و بنوه صالحون ، فإنه ينتفع به و بهم ؛ سليم القلب .

أو جعل المال و البنون فى معنى الغنى ، كأنه قيل : يوم ينفع غنى من أتى الله بقلب سليم ،لأن غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه ، كما أن غناه فى دنياه بماله و بنيه ، و قد جعل مفعولاً لينفع ، أى لا ينفع مال ولا بنون ، إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله ، حيث أنفقه فى طاعة الله ، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين و

علّمهم الشرائع ، ويجوز على هذا :-إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين .

4)-أى خالص من الذنب وحب الدنيا .

ويقال :سليم من بغض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

11* وجاء فى الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب ،فى المجلد الثانى عشر، (ص /150-151) :

-أما قوله (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {88} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ { 89}) : فاعلم أنه تعالى أكرمه بهذا الوصف ،حيث قال : (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ {83} إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {84})، ثم فى هذا الاستثناء وجوه :-

- أحدها :- أنه إذا قيل لك :هل لزيد مال وبنون ؟ تقول : ماله وبنوه سلامة قلبه ، تريد نفى المال والبنين عنه و إثبات سلامة القلب له بدلاً عن ذلك ، فكذا فى هذه الآية.

-وثانيها :- أن نحمل الكلام على المعنى ، ونجعل المال والبنين فى معنى الغنى ، كأنه قيل يوم لا ينفع غنىً،إلا غنى من أتى الله بقلب سليم ، لأن غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه ، كما أن غناه فى دنياه بماله وبنيه .

-وثالثها :- أن نجعل (مَن) مفعولاً لينفع ، أي لا ينفع مال و لا بنون إلا رجل سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله تعالي ، و مع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين ، و يجوز على هذا : إلا من أتي الله بقلب سليم من فتنة المال و البنين ، أما السليم : ففيه ثلاثة أوجه :-

الأول :- و هو الأصح أن المراد منه سلامة القلب عن الجهل و الأخلاق الرذيلة ، و ذلك لأنه:
كما أن صحة البدن و سلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج و التركيب و الاتصال ، و مرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور ، فكذلك سلامة القلب ؛ عبارة عن حصول ما ينبغي له ؛ و هو العلم و الخلق الفاضل ، و مرضه عبارة عن زوال أحدهما ، فقوله{ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }: أن يكون خاليا من العقائد الفاسدة ، و الميل إلي شهوات الدنيا و لذاتها .

إن قيل : فظاهر هذه الآية يقتضي أن من سلم قلبه كان ناجياً ، و أنه لا حاجة فيه إلي سلامة اللسان و اليد .

فجوابه : أن القلب مؤثّر ، فالسان و الجوارح تبع ، فلو كان القلب سليماً لكانا سليمين لا محالة ، وحيث لم يسلما ثبت عدم سلامة القلب .

التأويل الثانى :-أن السليم هو اللديغ من خشية الله تعالى .
التأويل الثالث:- أن السليم هو الذى سلم ،و أسلم ،وسالم ، استسلم .
والله أعلم .

12 * وجاء فى تفسير البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد ، لأبى عباس بن عجيبة ، المجلد الرابع :-

أى لا ينفع مال وإن كان مصروفاً فى وجوه البر ، ولا بنون ،وإن كانوا صلحاء متأهلين للشفاعة ،{ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } من الكفر والنفاق ، فإنه ينفعه ماله المصروف فى طاعة الله ، ويشفع فيه بنوه ،إن تأهلوا للشفاعة ؛ بأن أدبهم ودرجهم إلى اكتساب الكمالات والفضائل .

وقال الحسن بن الفضل : سليم من آفات المال والبنين .

13 * وجاء فى الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبد الله القرطبى ، المجلد الثالث عشر، (صـ/114-115) :-

هو استثناء للكافرين ، أى لا ينفعه ماله ولا بنوه ، وقيل هو استثناء من غير الجنس ، أى (لكن) من أتى الله بقلب سليم ، ينفعه لسلامة قلبه ، وخصّ القلب بالذكر لأنه الذى إذا سلم سلمت الجوارح ، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح .

وذكر مجوعة تفاسير ثم قال : (السليم : الخالص ؛ للضحاك ؛قلت :- وهذا القول يجمع شتات الأقوال بعمومه ، وهو حسن ، أى الخالص من الأوصاف الذميمة ، والمتصف بالأوصاف الجميلة ، والله أعلم).

14* وجاء فىصفوة التفاسير ،للشيخ محمد على الصابونى ، المجلد الثانى ، (صـ/288) :-

أى بقلب نقى طاهر ، سليم من الشرك والنفاق ، والحسد والبغضاء .

15* وجاء فى تفسير القرآن الكريم ، المشتمل على عجائب وبدائع المكونات ، وغرائب الآيات الباهرات ، للأستاذ طنطاوى جوهرى ، الجزء الثالث عشر ، (صـ /48) :-

خالص من الذنب وحب الدنيا ، أى لا ينفعان أصلاً إلا مخلصاً سليم القلب من العيوب وكبائر الذنوب ،فإنّ مثل هذا يجعل المال فيما خلق له ، ويرشد البنين إلى الحق ، ويعلمهم الخير ، ليكونوا مطيعين لله .

16* وجاء فى مجمع البيان فى تفسير القرآن ، لأبى علىّ الفضل بن الحسن

الطبرسى ، المجلد الرابع، (صـــ/194) :-

(.....بقلب سليم) : أى من الشرك و الشك : عن الحسن ومجاهد ، قيل سليم من المفاسد والمعاصى ، (وإنما خصّ القلب بالسلامة لأنه إذا سلم .....). حيث إن الفساد بالجارحة ،لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد.

وروى :- هو القلب الذى سلم من حب الدنيا . ويؤيده الخبر: - (حب الدنيا رأس كل خطيئة).

17* وجاء فى أيسر التفاسير لكلام العلىّ الكبير ، لأبى بكر الجزائرى ، المجلد الثالث ، (صـــ/312) :-

أى لكن من أتى الله ، أى جاءه يوم القيامة و قلبه سليم من الشرك والنفاق ، فهذا ينفعه عمله الصالح ، لخلوه مما يحبطه وهو الشرك والكفر الظاهر والباطن .

18* وجاء فى المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسى ، فى الجزء الحادى عشر (صـــ/126-127) :-

يوم لا ينفع أعلاق الدنيا ومحاسنها ، فقصد من ذلك الذكر العظيم و الأكثر ، لأن المال والبنين هما زينة الحياة الدنيا ، و الظاهر أن الاستثناء منقطع ، أى لكن مَن أتى الله بقلب سليم ، ينفعه سلامة قلبه ، وقوله (بقلب سليم) : معناه :- خالص من الشرك والمعاصى ، وعلّق الدنيا متروكة ؛ وإن كانت مباحة كالمال والبنين .

- قال سفيان :-هو الذى يلقى ربه ، وليس فى قلبه شيئ غيره .

قال القاضى أبو محمد –رحمه الله – :– و هذا يقتضى عموم اللفظ ، ولكن السليم من الشرك هو الأهم .

19* وجاء فى التفسير القرآنى للقرآن ، لعبد الكريم الخطيب الجزء الخامس ، (صـــ/140) :–

أى قلب خالص من الشرك ، معافى من الضلال .

20* وجاء فى تفسير روح البيان ،للإمام الشيخ إسماعيل حقى البروسى ،الجزء السادس ، (صـــ/287–288) :–

{ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } بدل من مفعوله المحذوف ، أى إلا مخلصاً سليم القلب من مرض الكفر والنفاق ، ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالإيمان .

قال فى كشف الأسرار :– بنفسٍ سليمة من الكفر والمعاصى ، وإنما أضافه إلى القلب ، لن الجوارح تابعة للقلب ؛ فتسلم بسلامته ،و تفسد بفساده ، وفى الخبر :– (إن فى الجسد مضغة .....) .

قال الليث :–كان الكفار يقولون نحن أكثر أموالاً وأولاداً ، فأخبر الله أنه لا ينفعهم ذلك اليوم المال والبنون ، لعدم سلامة قلوبهم فى الدنيا ، وأما المسلمون فينفعهم خيراتهم ، وينفعهم البنون أيضاً ، وإن تخلف بعده فإنه يذكره بصالح دعائه ، ويتوقع منه الشفاعة من حيث صلاحه .

وسئل أبو القاسم الحكيم عن القلب السليم ، فقال :– (له ثلاثة علامات : أولاها :أن لا يؤذى أحداً ، والثانية : أن لا يتأذى من أحد ، والثالثة : إذا اصطنع مع أحدٍ معروفاً لم يتوقع منه المكافئة ، فإذا هو لم يؤذ أحداً ، فقد جاء بالورع ، وإذا لم يتأذ من أحد فقد جاء بالوفاء ، وإذا لم يتوقع المكافئة بالاصطناع فقد جاء بالاخلاص) .

وفى البحر :– (يوم لا ينفع .....) للوصول إلى الحضرة ،لقبول الفيض الإلهى (إلا من أتى الله) عند المراقبة (بقلب سليم) ، وهو قلب قد سلم من

انحراف المزاج الأصلى ، الذى هو فطرة الله التى فطر الناس عليها ، فإنه خلق مرآة ، قابلة لتجلى صفات جمال الله وجلاله ، كما كان لآدم عليه السلام أول فطرته ، فتجلّى فيه قبل أن يصدأ بتعلقات الكونين ، أشار بقوله (الآمن) إلى التخلق بخلق الله ، والاتصاف بصفته ، إذ لم يكن القلب سليماً بلا عيب ، إلا إذا كان متصفاً بطهارة قدس الحق عن النظر إلى الخلق .
قال ابن عطاء :- السليم الذى لا يشوشه شيئ من آفات الكون .
-وسئل بعضهم : بم تنال سلامة الصدر ؟ قال :- بالوقوف على حد اليقين ، و ترك الإرادة فى التلوين والتمكين .

21* وجاء فى الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، لسليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل ، الجزء الثالث :-

(سليم) من الشرك والنفاق ، وهو قلب المؤمن ، فإنه ينفعه ذلك .

22* وجاء فى الأساس فى التفسير ، لسعيد حوّى ، الجزء السابع ، (صـــ/ 3927) :-

-قال ابن كثير:- أى سالم من الدنس و الشرك .

قال ابن سيرين :- القلب السليم أن يعلم أن الله حق ، وأن الساعة لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور .
وقال ابن عباس :- القلب السليم أن يشهد أن لا إله إلا الله .
23* وجاء فى لطائف الإشارات (تفسير صوفى كامل للقرآن) للقشيرى ، المجلد الثالث ، (صـــ/15) :-

قيل : القلب السليم : اللديغ .
وقيل : هو الذى سلم من الضلالة ، ثم من البدعة ، ثم من الغفلة ، ثم من

الغيبة ، ثم من الحجبة ، ثم من المضاجعة ، ثم من المساكنة ، ثم من الملاحظة ، هذه كلها آفات ،و الأكابر سلموا منها ، والأصاغر امتحنوا بها . وقيل : السليم الذى سلم من إرادة نفسه .

24* وجاء فى ظلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب ، الجزء الخامس ، (صـــ/ 2604) :-

نستشف من قوله (يعنى إبراهيم): { يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {88} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {89} } مدى إدراكه لحقيقة ذلك ، وإدراكه كذلك لقيقة القيم ، فليس هناك من قيمة فى يوم الحساب ؛ إلا قيمة الإخلاص ، إخلاص القلب كله لله ،وتجرده من كل شائبة ، ومن كل مرض ، ومن كل غرض ، وصفائه من الشهوات والانحرافات ، وخلوه من التعلق بغير الله ،فهذه سلامته التى تجعل له قيمة ووزناً (يوم لا ينفع مال ولا بنون) ، ولا ينفع شيئ من هذه القيم الزائلة الباطلة التى يتكالب عليها المتكالبون فى الأرض ، وهى لا تزن شيئاً فى الميزان الأخير !

25* وجاء فى تفسير المراغى ، للشيخ أحمد مصطفى المراغى ، م (19-21) ،(صـــ/75)

بيّن حال هذا اليوم { يوم يبعثون } وما فيه من شديد الأهوال ، فقال : { يوم .....الآية} : أى يوم لا يقى المرء من عذاب الله المال ، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، ولا البنون ، ولو افتدى بهم جميعاً ، ولكن ينفعه أن يجئ خالصاً من الذنوب وأدرانها ، وحب الدنيا وشهواتها .

وخص الابن بالذكر لأنه أولى القرابة بالدفع والنفع .

-أخرج أحمد و الترمذى وابن ماجه عن ثوبان : قال :لماّ نزلت { والذين يكنزون الذهب والفضة .....} الآية ، قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :- لو علمنا أى المال خير ؛ اتخذناه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :-ما معناه (أفضل لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجة صالحة ،تعين المؤمن على إيمانه) .

26* كما جاء فى المنتخب فى تفسير القرآن ،(صـــ/ 550) :-

يوم لا ينفع أحداً مال يبذل ولا بنون ينصرون ،إلا من كان مؤمناً ، وأقبل على اله بقلب برئ من مرض الكفر والنفاق والرياء .

27* كما جاء فى :- التفسير القيم ، لابن قيم الجوزية ، (صـ/394-395) -:

السليم :- هو السالم ، فالسليم :القلب الذى قد صارت السلامة صفة ثابتة له ؛ كالعليم والقدير ، وأيضاً فإنه ضد المريض .

وقد اختلفت عبارات الناس فى معنى القلب السليم . والأمر الجامع لذلك :- أنه الذى قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره ، فسلم من عبودية من سواه ، وسلم من تحكيم غير رسوله ، فسلم فى محبته ، مع تحكيمه لرسوله فى خوفه ورجائه ، والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، والذل له ، وإيثار مرضاته فى كل حال ، والتباعد من سخطه بكل طريق ، وهذا هو حقيقة العبودية ، التى لا تصلح إلا لله وحده .
فالقلب السليم : هو الذى سلم من أن يكون لغير الله فيها شركة بوجه ما ، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى ؛ إرادة ومحبة و توكلاً وإنابة ، وإخباتاً وخشية ورجاءً ، وخلص عمله وأمره كله لله ، فإن أحب أحبّ فى الله ، وإن أبغض أبغض فى الله ، وإن أعطى أعطى لله ، وإن منع منع لله ، ولا يكفيه هذا ؛ حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل مَن عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيعقد قلبه معه عقداً محكماً ؛ على الإتمام والاقتداء به وحده ، دون كل أحد فى الأقوال والأعمال : من أقوال القلب : وهى العقائد ، وأقوال اللسان : وهى الخبر عما فى القلب ، وأعمال القلب : وهى الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها ، وأعمال الجوارح ، فيكون الحكم عليه فى ذلك كله ،دقه وجله ، لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ، ولا قول ولا عمل ، كما قال تعالى :-{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... { 1} } سورة الحجرات ، أى لا تقولوا حتى يقول ، و لا تفعلوا حتى يفعل .
قال بعض السلف :-ما من فعلة -وإن صغرت -إلا ينشر لها ديوانان : لم ؟ وكيف ؟
أى لم فعلت ؟ وكيف فعلت ؟

فالأول سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه ، هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل ؟ وغرض من أغراض النفس فى محبة المدح من الناس ، وخوف ذمّهم ؟ أو استجلاب محبوب عاجل ، أو دفع مكروه عاجل؟ أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية لله ، وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه ، وابتغاء الوسيلة إليه ؟
ومحل هذا السؤال : أنه هل كان عليك أن تفعل هذا لمولاك ، أم فعلته لحظك وهواك ؟
–والثانى : سؤالك عن متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام فى ذلك التعبد ، هل كان ذلك العمل بما شرعته لك على لسان رسولى ؟ أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه ؟

فالأول سؤال عن الإخلاص ، والثانى عن المتابعة . فإن الله سبحانه لا يقبل عملاً إلا بهما .
فطريق التخلص من السؤال الأول : بتجريد الإخلاص ، وطريق التخلص من السؤال الثانى بتحقيق المتابعة .

وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص ، ومن هوىً يعارض الاتباع ، فهذا حقيقة سلامة القلب .
فمن سلم قلبه ضمنت له النجاة والسعادة .
انتهى كلامه رحمه الله .

وذكر أيضاً فى جزئه الثانى من : مدارج السالكين ، (صـ/141) ، فى منزلة التسليم :–

(هو الخلاص من شبهة تعارض الخبر ، أو شهوة تعارض الأمر ، أو إرادة تعارض الإخلاص ، أو اعتراض يعارض القدر والشرع ، وصاحب هذا التخلص

هو صاحب القلب السليم ؛ الذى لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى به).انتهى كلامه رحمه الله .

– ومعنى هذا الكلام أن القلب السليم تخلص من أشياء ،هى أدران وأقذار تعلق بجنبات القلب الذى لا يتنظف ، فتتركه غير صالح للعرض على الله ، ولا للفوز برضاه ، وأما التخلص الذى يقوم به صاحب القلب السليم فهو يدع القلب طاهراً نقياً صالحاً لاكتساب الصفات الطيبة ؛ التى بها حياته وزاده ، فيصير بهذا التخلص من الشرور والآثام ، وبهذا الاكتساب للخيرات والصالحات ، أو بعمليتى التخلية والتحلية ، يصير بهذا كله سليماً .

ولزيادة الوضوح نشرح الكلام باستفاضة :–
الإنسان حين يحب أن يكتسب صفة ما ، فإنه يظل يجاهد نفسه ويواظب على اكتسابها ، ويحاول أن يتخلق بها و يدعيها لنفسه ، حتى تصير صفة ثابتة له ، وهذا هو القلب العادى ؛ الذى يحاول أن يسلم نفسه من الشبهات والشهوات والاعتراضات والأهواء ، حتى يتسم بالسليم ، وتصبح هذه صفته اللصيقة به ، فعلى هؤلاء الأربع مدار سلامته .

1 –السلامة من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه

الله حين خلق الإنسان ، إنما خلقه ليبتليه ويختبره ، وليتخير من عباده من يستحق التنعيم فيورده جنانه ، ومن لا يستحق سوى التعذيب فيلقيه فى نيرانه ، مصداقاً لقوله تعالى : { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ {2} } سورة الملك، وقوله جل في علاه: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ {31} } سورة محمد ، وقوله

سبحانه وتعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ {115} } سورة المؤمنون، وقوله تعالى : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ {142} } سورة آل عمران.

وما دامت الجائزة عظيمة ، فلا بد أن يكون الاختبار صعباً ، فالفوز بالجنة (ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة) .

والجنة هى دار كل نعيم تمنّاه الإنسان بل وكل نعيم لم يخطر له على بال ؛ فهى دار الراحة بلا تعب ،ودار السعادة بلا شقاء ، والحياة بلا موت ، والصحة بلا مرض ، والشباب بلا هرم ، والاجتماع مع الأحبة بلا تفرق ولا تكدير ، دار السلام ، وليس فيها إلا الخير والجمال والسلام ، بلا ألم ولا حزن ولا كدر .

أما الدنيا فهى دار الكبد والكدر والبلاء ، نعيمها منغص ، فكيف بألمها وشقائها ؟!!

خيرها مقطوع ، وإن طال مكثه ، مشوبة بالهموم والأحزان :- فتارة فراق الأحبة ، وتارة أمراض ثقال ، وتارة أحزان وغموم ، وتارة فاقة ، وتارة هرم ، وتارة ندم ، وتارة ابتلاءات عظام ، وصدق الله إذ يقول : { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ {4} } سورة البلد.

وبما أن الإنسان إن دخل الجنة فقد فاز فوزاً عظيماً ، فليس من المعقول أن يستوى فى هذا الدخول كل البشر ،كما قال تعالى : {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ {35} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {36} } سورة القلم، { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ

{28} } سورة ص.

لذا كان الابتلاء شديداً :-

أبصار لا ترى الآخرة وإنما تسمع عنها ، غيباً ، تظنه بعيداً .
وأجساد ترابية سفلية ، تكبلها الشهوات ، وتثقلها عن سيرها نحو السماء ، فتقوم وتقع ، وتحلق ثم تسقط ، وتارة تمشى على قدمين وتارة على قدم واحدة كالعرجاء وتارة تحبو .
وجوارح تنتشر حولها الفتن بكل صنوفها وألوانها .
ودعاة على أبواب جهنم ، يلبسون جلود البشر مثلنا ؛ ولكنهم أشد من الشياطين شراً وخطراً ، يزينون الباطل ، ويقبحون الحق ويحببون الحرام ، ويبغضون شرع الله .
وأعداء أربع : يتربصون بنا الدوائر ، لايغفلون عنا طرفة عين ، ونحن نغط فى نوم عميق ، وهم يحيطون بنا من كل جانب ؛ فمن نفسٍ أمّارة بالسوء : تدعو إلى الحضيض ، وتسعى إلى لذاتها العاجلة ، ومن هوىً : لا يرجو قيداً من شرع ولا عقل ، ومن دنيا: سحارة فتانة متزينة بالشرور ، وممتلئة بالفتن ، ومن شيطان : ينصب شَرَكَه ليتهاوى فيه السائرين ، ربما قرب الوصول إلى الرضوان ، يُجيّش الجنود والرجال ، ويأتى من اليمين والشمال والوراء والأمام ، ويكيد للمؤمنين بحيله اللئيمة ، يمتلئ قلبه غيظاً وحقداً على بنى آدم ،عدوه الكبير ، ويسعى إلى جمع أكبر عددٍ ممكن من البشر ، ليتهاووا معه فى نار جهنم ؛ مصداقاً لقوله تعالى: { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {83} }سورة ص.
ثم بعد ذلك قلب ؛ طال أمله ، ونسى يومه الموعود ، وتشعبت همته ، وغفل عن ربه ، فتفرط أمره وضاع ثمره .
وفوق كل هذا شواغل النفس ، وإن كانت من الحلال : من مطعم ، ومشرب ، وملبس ، ومنكح ، ومسكن ، وعمل ، وولد، ولهو.
ونفسٌ جبلت على الضعف ، مصداقاً لقوله تعالى : { و خُلق الإنسان ضعيفاً }

النساء / " 28 " .
وحتى أعماله الصالحة فقد تنقلب ضده أحوج ما يكون إليها ، بسبب ما قد يشوبها : من مسير على غير نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أو رياء ، أو عُجب ، أو أمن من مكر الله ، أو رضاً عن النفس ، أو عن العمل ..... وغيرها .
وأصعب من كل ما سبق : عدم الثبات حتى النهاية ، فكم من سائر على الطريق المنجى ، زلّت قدمه ، فهوى قبل الوصول بلحظات ، فساءت خاتمته ، وساءت آخرته ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .
وفوق كل هذا وذاك :–طريقٌ قلّ سائريه ، وتعثرت فيه الخطوات ، وزلّت في شعابه ومهاويه الأقدام ، وامتلأ بالحفر والأشواك، والسائر فيه ما بين سقطة وقومة ، وما بين خطأ وصواب ، وما بين شر وخير ، وقلّ أن تجد فيه مَن يسير على هدى المصطفى بلا تبديل ، حتى ظن صاحب الحق أنه على غير الصواب ، وظنّ صاحب المعصية أنه على خير حال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فصرت لا تجد حولك إلا المعصية والعصاة ، نعم ؛ إنها عبادة الهرج ، أتدرون ما هى ؟ إنها التى قال عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم : (عبادة الهرج كهجرة إلىّ حديث صحيح ، (والهرج هو الفتنة واختلاط أمور الناس بين الحلال والحرام ، حين ينتشر الحرام فيظنه الناس حلالاً لكثرته ، ويُهجر الحلال وينساه الناس لندرته) المهاجرون الجدد ، د/ خالد أبو شادى ، وصدق الله إذ قال: {وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله } الأنعام / "116 " ، وإذ قال أيضاً : { وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين } يوسف / " 103 " ، وقال تعالى: "وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ" {49}/ سورة المائدة.

نعم إنها فتنة صعبة ، القابض فيها على دينه كالقابض على جمرة ، لذا كان للمستمسك فيها بحبل الله – رغم كل هذا – أجر خمسين شهيد ، ممن ؟ (من صحابة رسول الله) ،(فحينما قالها رسول الله لهم، قالوا بل منهم يا رسول الله ، قال بل منكم ، فإنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون) ما معناه .

لذا :- كان الابتلاء صعباً ولا معصوم إلا من عصمه الله تعالى * ،ومَن اعتصم بالله عصمه الله تعالى .**

إذن فالشهوات موجودة ، تميل لها النفس بطبعها ، وتقترب منها الجوارح ، ويعين على ذلك الهوى والشيطان ، والنفس الأمارة بالسوء ، والدنيا السحارة .

وهنا فقط يتميز العباد ما بين صالح وطالح ، وما بين معتصم بالله ، مستمسكٍ بحبله ، و بين متفرق فى شِعب الدنيا ، وفى مصائد الشيطان ، :{ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...{37} } سورة الأنفال، وهنا فقط يتميز القلب السليم عن القلب المفتون، فالقلب السليم أمام كل هذه الأعاصير : هو قلب قد سلم من هذه الشهوات التى تخالف أمر الله ونهيه .

فإن قلنا هو قلب لا تدخله الشهوة أصلاً فهذا هو قلب الملائكة ، وهم المعصومون المجبولون على طاعة الله عز وجل ، ومن البشر نجد الأنبياء هم أكثر الناس سلامة فى قلوبهم .
ولكنه هو القلب الذى إن أراد الشهوة (مالاً كانت أو نساءً أو منصباً أو غيرها) فإن دينه يغلب هذه الشهوة ولابد ، ولا تغلبه الشهوات أبداً .

***ليس معنى هذا الكلام أن الإنسان مسلوب الإرادة ، بل معناه أنه لا نجاة إلا لمن أنجاه الله من عباده الذين يستعينون به حق الاستعانة ، ويأخذون بأسباب النجاة ، حتى يأخذ الله بأيديهم ، ويوصلهم لمرضاته .**

وهو القلب الذى لا تسكن فيه الشهوة أبداً وتستقر ، فإن جالت فى خاطره ،دافعها حتى يدفعها ، ولا يحب أبداً أن لو كان الشرع جاء موافقاً لمراد نفسه ، فيُحل له ما تشتهيه نفسه ، ويحرّم عليه ما يأنف منه ، مثل ذلك الشاب الذى جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يأذن له فى الزنا ، فلما علّمه النبى صلى الله عليه وسلم أنه كما أنه لا يرضاه لأخته ولا لزوجه ولا لأمه ولا لبنته ولا لعمته ولا لخالته ، فكذلك الناس ؛ لا يرضونه لأعراضهم ، ثم دعا له النبى صلى الله عليه وسلم بطهارة قلبه وتحصين فرجه ، فلم يعد قلبه يتمنى ذلك بعد يومه هذا أبداً، لأنه صار طاهراً وسليماً .

فسلامة قلبه من الشهوة التى كان يتمناها حصلت له بعد أمرين : (العلم والدعاء) ، وهما خير ما يعالج به المرء من كل أدواءالقلوب ، وسيأتى الحديث عنهما فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والقلب السليم كذلك قلب لا يسهل انقياده للشهوات والفتن ،فهو يقاوم ما يُعرض عليه من الفتن ، حتى يصير سليماً أبيضاً ، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم :- (تُعرض الفتن على القلب كالحصير عوداً عوداً ، فأيُّ قلبٍ أشربها ، نُكت فيه نُكتة سوداء ، وأىُّ قلبٍ أنكرها ، نُكتت فيه نُكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبين : قلبٌ أسود مُرْبادًّا ، كالكوز مُجَخِّياً ،لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ، وقلب أبيض ، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض) رواه مسلم ،(144) . أى أن القلب الذى يمتلئ بالفتن يصير أسوداً لابياض فيه ، ويصير كالكوز المائل المقلوب ، يتبع هواه ، ويعبده من دون الله .

وهو قلب إن سقط فى ذنب ، لايلبث أن يفيق منه سريعاً ، ويمنعه خوفه من الله من تمام المعصية ، ومن التمادى فيها { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ {201} } سورة الأعراف، فيتعالى على الفتن ، ويترفع عن السفاسف ، وتعظم معصيته فى عينيه ولو صغرت ، لعلمه

بعظم مَن عصى ، وهو لا يصر على ذنبٍ أبداً : { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {135} }/ سورة آل عمران.

وهو القلب الذى وإن مالت به نفسه الأمارة بالسوء للمعصية ، فإن المعصية لا تحلو فى عينيه أبداً ، ولا يرضى عنها ، ولا يحبها أو يتشربها قلبه أبداً أبداً أبداً ، بل هو يزدرى معصيته ويبغضها ، ولو سقط فيها ، لذا فهو سرعان ما يفيق ويعود ويتوب.

وهو قلب يبغض العصاة ومعصيتهم ، فلا تطيب نفسه أبداً بمجالستهم ، ولا تميل نفسه أبداً لحبهم ، ويحب أهل الطاعة ويأنس بهم ، ويحلو وقته فى ذكره لله معهم .

كما أنه ليس هو القلب الذى يمتلئ بالبغض والكراهية ، إلا لأعداء الدين ، وهو القلب الذى لا يعرف الحقد ولا الحسد ، ولا تساكنه الضغينة ، ولا يحمل بين طياته الرغبة فى الانتقام ، والتربص بمن أساء إليه يوماً ، كما أنه لايعرف التشفى والشماتة ممن ظلمه ، بل الرحمة والتسامح ، والعفو عند المقدرة ، ونسيان الإساءة ، بل ومقابلة السيئة بالحسنة ، فهو يصل من قطعه ، ويعطى من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه .
فتسلم له بكل هذه الصفات (عبودية الله) ، فالعبودية هى الطاعة المطلقة لله فى كل شيئ ، والقلب الذى يتشرب غير أمر الله من الشهوات ، لن تستقيم طاعته ، وبالتالى لن تستقيم عبوديته أبداً ، حيث ستقف شهوات قلبه تعارض أمر الله ونهيه ،وتُحبب إليه ما يبغض الله ، وتُبغّض إليه ما يحبه الله ، فأنَّى لهذا استقامة عبوديته ؟
ثم إن القلب الذى خلا من الشهوات ، وتنظف من أقذارها ، تسلم له محبته لله ، حيث إنه لا محبة تعارضها فى قلبه ، وكذلك يسلم له خوفه ورجاؤه ، وتوكله عليه وإنابته له ، وذله وانكساره بين يديه ، وإيثار مرضاته فى كل

حال ، والتباعد عن سخطه بكل طريق .
فى حين أن القلب الذى اكتظ بالشهوات ، تنازعه هذه الشهوات فى دينه ، فلا تسلم له محبته لله ، لحبه لشهواته ، وخوفه عليها ، ورجائه لمن يعطيها له ، وتوكله عليه ، وتذلله بين يديه ، وإيثاره لمرضاته ، وتباعده من مساخطه ، فلا تسلم له عبودية أبداً ، بل وتُوقعه شهواته فى الشرك بالله : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ { 165} } سورة البقرة

فالقلب السليم كما قال ابن القيم : (الذى سلم من أن يكون لغير الله فيه شركة ، بوجه ما) .
والآخر قلبه ممتلئٌ بالشركاء تتقاذفه أيديهم ، بل وتتدافعه أرجلهم ، من أجل شهواته ومطامعه ، فيذل وينتكس . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم) رواه الطبرانى فى الكبير (4 /78) ،وهو فى صحيح الجامع (2384) .

وقد قال ابن القيم رحمه الله :- (ترك الشهوات لله ، وإن أنجى من عذاب الله ، وأوجب الفوز برحمته ، فذخائر الله وكنوز البر ، ولذة الأنس والشوق إليه ، والفرح والابتهاج به ، لايحصل فى قلبٍ فيه غيره ، وإن كان من أهل العبادة والزهد والعلم ، فإن الله سبحانه أبى أن يجعل ذخائره فى قلب فيه سواه ، وهمته متعلقة بغيره ، وإنما يودع ذخائره فى قلب : يرى الفقر غنى مع الله ، والغنى فقراً دون الله ، والعز ذلاً دونه ، والذل عزاً معه ، والنعيم عذاباً دونه ، والعذاب نعيماً معه ، وبالجملة : فلا يرى الحياة إلا به ومعه ، والموت والألم والهم والغم والحزن إذا لم يكن معه ، فهذان له جنتان : جنة فى الدنيا معجلة ، وجنة يوم القيامة) . انتهى كلامه رحمه الله .\ الفوائد (صـــ / 216) ، ط .دار الغنان

2 – السلامة من كل شبهة تعارض خبر الله

إن الطفل الصغير حين يحب والداه ، فإنه يثق فيهما ، ويعطيهما من الصلاحيات ما لا يعطيه لسواهما من البشر ، فيصدق قولهما مطلقاً ، ويرضى فعلهما دائماً ويطمئن على نفسه وهو معهم وبين أيديهما ، ويستوحش من فراقهما له ، لعلمه أنهما لا يفعلان به إلا خيراً ، ولا يوقعانه فى الشر أبداً ، فيمشى معهما حيثما اصطحباه بلا سؤال ولا رفض ، ولكنه يرفض أن يسير مع أى شخص آخر لا يعرفه ، فهو ما وثق بأبويه إلا لعلمه أنهما يعلمان أكثر منه ، ويقدران أكثر منه ، ويملكان أكثر منه ، ومن هنا فإنه يسلم نفسه لهما مطلقاً بلا أن يساوره فى فعلهما شك ، وهذه هى حقيقة التسليم فى القول والعمل .

فالعبد الذى يعرف ربه ويحبه ويثق فيه ، يستحيل على قلب هذا العبد أن تشوبه الشبهات فى خبر الله ، سواءً أكان خبر الدين أو الدنيا أو الآخرة ، خبراً عن الماضى أو الحاضر أو المستقبل .
وذلك كله لحبه لربه ، وعظم ثقته فيه ، وعلمه أن الله هو العليم القدير الحكيم ، وأنه هو مالك الملك كله ، فيصدق قوله مطلقاً ويرضى فعله دائماً ، علم الحكمة أو لم يعلم ، لأنه لا يفعل للحكمة وإنما للامتثال للأمر الإلهى ، كما أنه يطمئن لأقداره دائماً ، فلا يعترض ، ولا يشتبه أن ربّه فعل به شراً قط ، فهو يوقن فى آيات الله وحكمته ، يقيناً تزول الأرض ولا يزول ، وتتفتت الجبال الشامخات ولا يهتز بل شامخ صامد راسخ ، لاتنتابه الشروخ ولا الصدوع ، فيستحيل عليه تحكيم غير شرع الله ، والانقياد لمن عدا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا اليقين هو أحد الصفات الواجبات لتمام الإيمان والتقوى ، وهو إحدى

الصفات المنجيات من فتن الدنيا وعذاب الآخرة .

فإن مر به قدر لا يسعده ، أيقن فى قوله تعالى : {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ { 216} } سورة البقرة.

وإن مرت به آيات معجزة ، فوق تصديق العقل البشرى ، أيقن فى قوله تعالى : { إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {148} } سورة البقرة.
وإن مرت به أشياء يعجب لها عقله ، ولا يفهم حكمتها ، ولكنها فى شرع الله ، يوقن بأن الذى أمرَ بهذا الأمر حكيم ، ولا يأمر عبثاً ، وهو أعلم بحكمته ، ويوقن أن عقلنا البشرى قاصر عن فهم حكم الملك العلى ، فلا يلبث أن ينقاد ويستسلم ويرضى : { إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {83} } سورة الأنعام.
وإن مرَّت به آيات الغيب الذى لا يراه ، يوقن أن الذى صَدَقَ فى الشهادة ، هو هو الصادق فى الغيب ، وأن الذى قدر كل هذه القدرة فى الشهادة ، وملك كل هذا الملك ، هو أيضاً قادرٌ ومالكٌ فى عالم الغيب .
وإن رأى فى شرع الله ما أتعبه وآلمه وثقل عليه ، وظن أن نفسه تعجز عنه ، يوقن أنه { لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا...{286} } سورة البقرة، فيُقدم على الطاعة بثقة فى الله ، وحسن ظنٍ به ، أن يكون معه ولا يكله إلى نفسه .
وإن أخذ بالأسباب للوصول لشيء ما ، وأعدَّ له العدة ، ، ففعل الله له عكس مراده ، يوقن أن اختيار الله له هو الخير ، الذى لا يعلم خيريته إلا الله تعالى ، كما يوقن أنه القدر الذى كان سيصيبه حتماً ، ولا مفر منه ، وما كان ليخطئه أبداً : { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...{68} } سورة القصص، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .
وإن سمع أمراً أو نهياً من الله تعالى ، ونازعته نفسه لغيره ، وادّعت أنه لا سبب له ، وأوهمته أنه لا خير فيه ، يُكذب نفسه الأمارة بالسوء، ولا يلبث أن يقول: { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ {285} } سورة البقرة، بل ولا يلبث أن يوقن أن الخير كل الخير فيه ، لدنياه وأخراه ، ما دام قد جاء من

رب العالمين ، وإن نازعته نفسه كل منازعة إلى غير ذلك .
وإن رأى أولياء الله وجنده يُبتلون ، ويعذبون ويهزمون ، وأعداء الله يرتقون ،ويقوون وينتصرون ، لا تَشُب قلبه شائبة أن الله تعالى قد تخلى عن جنده ، أو أن شيئاً حدث على غير مراد الله (قد يحدث الشر على غير مرضاة الله ، ولكن شيئاً لا يحدث على غير مراده ، أى أن الله لا يرضاه ، ويعاقب صاحبه ، ولكنه تحت قدرته ومشيئته) ، بل يوقن أن الله عالم قادر ، ولكنه يفعل ذلك لحكمة يعلمها هو ، ولا يعلمها سواه .

وإن وعد الله بشئ ثم شاهد عكسه ، يوقن أن موعود الله آتٍ آتٍ ، ولكن وقتما يشاء الله ، فإن الله لا يعجل لعجلة أحد .
وإن دعا الله ثم لم يستجب له ، أيقن أن شره فيما دعا به ، فلم يجبه الله لذلك الشر ،مصداقاً لقوله تعالى : { وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً {11} } سورة الإسراء.
وإن أراد أن يفعل شيئاً ، فلم يوفقه الله لفعله ، ولأسبابه ، أيقن أنه قدر الله ، فيستسلم ويقول : قدّر الله وما شاء فعل ، ويوقن أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وهو بالطبع لا تنازعه نفسه ولا قلبه للتشكيك فى دين الله ، بأن الخير فى غيره أبدا .
كما أنه لا تنازعه نفسه أبداً للشك فى وجود الله ، ولا فى ذاته ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله (القدرية الكونية – ولا الشرعية).
وهو القلب الذى حقق (لا إله إلا الله) بشروطها السبع :-
فعلم أنه لا معبود بحق إلا الله .
وأيقن بذلك ، بلا شكٍ ولا ريب { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ { 15}} سورة الحجرات.

وأخلص قلبه فيها ، فلم يشرك مع الله غيره ، ولم يقلها سوى لله ، لارياءً ولا سمعة .
وأحب إلهه ،وأحب توحيده لله ، محبة لا تنازعه معها نفسه أن يشرك معه غيره .
وصدق فى إيمانه بربه ، وتوحيده وتأليهه له ، ولم يكذب فيه ابتغاء جاهٍ ،أو اتقاء مكروه .
وانقاد لحقوق لا إله إلا الله ، فعلم وعمل وجاهد ودعا .
وقبلها قبولاً منافياً للرد ، ولم يستكبر عليها طرفة عين ، ولم يرفضها ألبته .
أولئك آمنوا وأيقنوا ، وسلمت قلوبهم من شبهة تعارض خبر ربهم .

وهو القلب الذى سلم من الاستهزاء بشيءٍ من الدين ، أو بثواب الله وعقابه ، أو غيبه ، وسلم من اعتقاد أن فى غير هدى الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ، خيراً مما جاء به أو حكم به أو دعا إليه .
وهو القلب الذى سلم سلامة تامة من حب أعداء الله ؛ من الكفار والمشركين ،ومن العصاة والفاسقين، ومن المبتدعة والملحدين. والعلمانين والشيوعيين ، ولم يتولَ غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين ، ولم يتخذ من هؤلاء الكفار ولياً ولا نصيراً.
وهو القلب الذى لا يفرق فى الطاعة والقبول بين أمر الله وأمر رسوله .

- وأما القلب الآخر الواقع فى الشبهة والشك :-

فهو ذلك القلب الذى به أى شبهة أو شك فى أى خبر وَرَدَ من الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، سواءً فيما مضى، أو ما هو كائن ، أو ما سيكون ، وسواءً عن الدنيا أو عن الآخرة، وسواءً فى ذات الله وصفاته ، وأفعاله ، أو عن مخلوقاته ، سواءً عن الغيب أو الشهود ، وسواءً وعد الله ووعيده ، أو

شرعه ودينه ، أو حكمه وقضائه وقدره .

** فالخلاصة :- أن ذا القلب السليم يوقن بوجود الله ، وإن وقف العالم كله صفاً واحداً ينكر ذلك ، ويوقن بصدقه فيما جاء به ، وإن وقف العالم كله يكذّب ذلك ، ولو جاءوا بألف حجة وبرهان ، فهو يرى الله بقلبه ، ويعامله بروحه مع أعماله ، ويحس بوجوده أكثر مما يحس بوجود نفسه ، ويعلم صدقه أكثر مما يعلم أثبت حقيقة مرئية عنده .

وهذا القلب الموقن الخالى من الشبهات ، عظيم النفع فى راحة نفس صاحبه ، فاليقين مع السعادة جناحى الاطمئنان والسعادة .
فلا خوف ، ولا يأس ولاقنوط ، ولا هم ولا أى مكدر للحياة ، فهو واثق بموعود الله تعالى ثقة تامة ، فإن فاته السرور اليوم فى الدنيا لنقصان بعض متاعها ، فإنه واثق أنه سيجده – إن شاء الله – غداً فى الجنة ، وإن حدث له كرب ، فهو يعلم أنه كفارة خطاياه ، وإن حدث له ما يكرهه ، فهو يعلم أنه ربما كان الخير فيه ، وإن حدث له ما يحبه لم يركن له ، لعلمه أنه ربما كان شراً ، أو استدراجاً أو فتنة ، ثم إنه غداً مفارقه .

وهكذا : هو فى انسجام تام مع آيات الله ، يطبقها على حياته تطبيق الموقن الواثق المطمئن ، فيحيا فى ظلالها الوارفة ، ويسعد وينعم بها فى الدنيا قبل الآخرة ، ويدخل بحصن اليقين هذا إلى جنة ربه – إن شاء الله تعالى – وينجو به من عذاب النار ، ومن غضب الجبار .

3- السلامة من كل إرادة تعارض الإخلاص

القلب الذى تم تنقيته من الشبهات والشهوات – وإن كان أحرز الكثير من السلامة – فإنه لا بد وأن تخلص إرادته لله ، وإلا : فإنه يُطرد من قائمة أصحاب القلب السليم .
فالقلب المخلص هو القلب الذى امتلأ حباً لله ، ففاض الحب على جوارحه ، وأعماله ، فأحب ألا يكون لغير الله فيه إرادة .
وهو قلب عرف الله ؛ فاستعظم أن يكون لغير الله فى قلبه شركة فى عمل .
وهو قلب خشى الله ؛ فخاف أن يشرك معه مَن لا ينفع ولايضر ، ولا يغنى عنه من الله شيئاً .
وهو قلب أيقن أن النافع الضار هو الله ، وأن الذى يرجى هو الله فأخرج من قلبه مَن سواه ،ولم يتعلق قلبه بغيره فى دفع المضار وجلب المصالح
– فعمل العمل لله وحده ، وأسرَّه بينه وبين ربه ، مخافة أن يعلم به الناس ، فيعبث علمهم بإخلاصه ، وقد آثر مرضاة الله على غيره ، فكتم عمله ، وأراد به وجه الله وحده ، فسلم عمله ،وسلم قلبه ، وسلمت حسناته ، وسلمت له الدنيا والآخرة .

فالمخلص :- هو الذى باعثه على العمل : مخافة الله ، وابتغاء مرضاته ، وهو أيضاً داعيه لإتمام العمل ، ثم هو هو داعيه إلى حفظ عمله من أعين الناس ، وعدم حديثه عنه ، بل وخوفه من عدم القبول .
والمخلص حقاً هو التقى ، والتقوى كما قيل ، هى :-
(العمل بمرضاة الله ، على نورٍ من الله ، يرجو ثواب الله ، واجتناب معصية الله ، على نور من الله ، يخاف عقاب الله) .

– فهو لا يحركه للعمل أى باعث دنيوى .

وقد ورد فى مدارج السالكين :-(قال صاحب المنازل " الإخلاص : تصفية

العمل من كل شوب " ، أى لا يمازج عمله ما يشوبه ، من شوائب إرادات النفس :- إما طلب التزين فى قلوب الخلق ، أو طلب مدحهم والهرب من ذمهم ، أو طلب تعظيمهم ، أو طلب أموالهم ، أو خدمتهم ومحبتهم ، وقضائهم حوائجه ، أو غير ذلك من العلل والشوائب ؛ التى عقد متفرقاتها :- هو إرادة ما سوى الله بعمله ، كائناً ما كان) .انتهى كلامه رحمه الله / ابن القيم -ج2 (صـــ/90) / ط . دار البيان العربى.

فالنفس تحب ألا تُقهر ، وألا يخلو عمل من حظها ، فإن قهرها الإنسان على طاعة الله – التى هى طبعاً خلاف مرادها – أحبت أن يكون لها حظ من ذلك العمل الذى يثقل عليها ، مثل استشعارها أن الناس سيعظمونها ، أو سيحبونها ، أو سيمتدحونها ، وغير ذلك ، فحينها : تنشط للعمل الصالح ، وتخف عليها مئونته ، والمعصوم من عصمه الله ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإخلاص فى القول والعمل ، فى السر والعلانية ، وأن يحفظنا من كل ما يبعدنا عنه ، ومن كل ما يحول بيننا وبينه ، وأن يعفو عن ضعفنا ، ويجبر كسرنا ، وأن يتجاوز عن زلاتنا ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

ولعل المعين على التمسك بهذا الإخلاص : هو استشعار الإنسان خسارة الربح الأعظم ، الذى هو رضا الله عنه ، بثمنٍ بخس ، لا يساوى شيئاً ، ويستشعر أنه بعد قليل سيصير إلى التراب ، هو وكل مَن عظَّمه ، ولن ينفعه شيئ من تعظيمهم ،

وسيُنسى اسمه ويندرس قبره ، ولن يذكره ذاكر ، وتبقى الحسرات ، حين يكون فى أشد احتياجه إلى هذا العمل ، يوم العرض الأكبر ، كى ينقذه من نار جهنم ، فإذا بالسرائر تُبلى ، والأستار تُكشف ، عما شاب عمله من رياء ، فيذهب هباءً منثوراً ، أشد ما يكون حاجة إليه ، فتذهب نفسه عليه حسرات ، ويتقطع قلبه أسىً وأسفاً ، وندماً وحسرةً ، وحينها لاينفع مالٌ ولا بنون ، ولا ينفع الندم .

كما أن استشعار الإنسان أن نفسه هى ألدُّ أعدائه ، فيعاديها لله ، فيسهل عليه أن يعاندها ، فيرى تلهفها على كشف العمل والمباهاة به ، فيعاندها ويخفيه، فيستشعر لذة انتصاره عليها ،ويحب ذلك الانتصار ، ولا يقبل بعد ذلك الهزيمة أبداً .

واستشعار العبد لخطر الشرك ، فهو داءٌ وبيل فى العمل ، يضع صاحبه فى مهالك عظمى ،؛ من حبوط العمل ، وعدم المغفرة : { إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء 48} سورة النساء.

فالله أغنى الشركاء عن الشرك ، وقد قال تعالى فى حديثه القدسى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، مَن عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى ، تركته وشركه) حديث حسن – رواه مسلم .
كما رُوى أيضاً : (عن محمود بن لبيد ، رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : "الرياء ، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة – إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تُراءون فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء ") رواه أحمد –وهو صحيح .
والإخلاص مع الاتباع : هما شِقى النجاة يوم القيامة ، ولا نجاة إلا بهما ، كما قال تعالى : { فَمَن كَانَ يَرْجُولِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا {110} } سورة الكهف
، وقال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء...{5} } سورة البينة، وقال تعالى : { وَمَن يُسْلِمْ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور {22} } سورة لقمان

فالعامل فى غير إخلاص ، يعمل فى غير معمل ، ويسير فى غير طريق الله ، بل هو السائر نحو الجحيم ، كما ورد فى حديث (الشهيد والعالم والجواد) .

وأما القلب المطمئن بربه ، المخلص له : فهو القلب الذى لا يرى إلا الله ، ولا يعمل إلا له ، ولا هم له سوى مرضاته ، فهو فى جنب الله فى الدنيا ، وفى جنته فى الآخرة .

4- السلامة من كل هوىً يعارض الاتباع ، واعتراض يعارض القدر والشرع

إن القلب الذى امتلأ بالإخلاص ، وتطهّر من الشهوات والشبهات ، لهو من أقدر القلوب – بتوفيق الله طبعاً – على قهر هواه، ورده عن طريقه إلى رضا الله .

والهوى إنما يشتعل اشتعالاً فى القلب الغافل عن الله ، ثم لا يلبث أن ينفرط أمر صاحبه فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا {28} } سورة الكهف .

واتباع الهوى مع طول الأمل : هما شقى الهلاك ، والإبعاد عن سبيل الله .
والقلب المتبع لهواه : هو ذلك القلب الذى لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ،إلا ما أشرب من هواه ، فهو يسير مع ما تحبه نفسه وتهواه ، حتى يهْوى .
والهوى :- رغبة تنتاب القلب ، وتقوى مع الغفلة ، وتستبد بصاحبها ، ويعينها عليه طول الأمل فيقول غداً أتوب ، وغداً أعود ، فيضل بعد هدىً ، ويُؤْتى الجدل ، ويُحاجّ عن باطله وهو يعلم أنه باطل .
وقد قال الإمام عليّ رضي الله عنه :- (إن أخوف ما أخاف عليكم : اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة) فتح البارى.
فالقلب الذى به طول أمل دائماً يتبع هواه . وقد جاء فى الأثر : (أربعة من الشقاء : جمود العين – وقسوة القلب – وطول الأمل – والحرص على الدنيا) ، فاللهم أسعدنا ولا تشقنا ، لافى الدنيا ولا فى الآخرة .

وأما الاعتراض: فإنه آفة عظمى من آفات القلوب المريضة ، بل والموشكة على الهلاك ، إن لم تكن هالكة .

فالمعترض يظن أن الحكمة خلاف ما جاء به شرع الله ، وخلاف ما قضاه وقدّره .
ومَن هو الإنسان ؟ وما هو هذا الماء المهين كى يقف أمام حكمة الله العلى العظيم ؟بضعفه وقصور عقله ، هذا العقل الذى وهبه له الله ، الصانع المبدع :- { يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ {6} } سورة الانفطار؟ !!!

وأنّى لهذا الإنسان الذى يجهل الكون من حوله ، بل ويجهل الناس من حوله ، بل ويجهل نفسه ذاتها ، أنّى له أن يقف ليتحدث عن حكم الله ، وعن شرع الله*** .الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، الله : الجبار العلى ، الكبير العظيم .

ومَن كان فى قلبه كل ما سبق من الإخلاص والخلو من الشبهات ، والشهوات ، والأهواء ، فإنه ولا بد يكون قلبه ممتلئاً بالرضا والاستسلام لحكم الله ، فلا يساكنه الاعتراض أبداً مصداقاً لقوله تعالى : { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا {65} } سورة النساء، وقوله تعالى :- { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا {36} } سورة الأحزاب

*** النجاة من هذا الاعتراض : بالعلم بقصور العقل ، وبالرضا بالله ، والثقة فى حكمه وحكمته.

وكيف تعترض والصانع أعلم بصنعته : { أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ {14} } سورة الملك ؟!!!

فالله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم بكثير من أن يشرع ما ليس بخير ، أو حتى ما يوجد خير منه ، أو أن يحكم بما ليس بخير ، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .
وعقل الإنسان مخلوق ضعيف من مخلوقات الله ، قاصر عن الإحاطة بحكمة الله فى شرعه وحكمه ، لذا لا بد من الرضا والتسليم ، وهذا الرضا الجبرى الذى يجبر الإنسان نفسه عليه ، هو الطريق للرضا النورانى ؛ الذى يملؤ النفس نوراً وإشراقاً ، ويملؤ القلب فرحاً وسروراً وقوة ، وهو الذى يُستجلب به رضا الله عز وجل : (فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط) .

قال الحسين بن على رضى الله عنهما : (مَن اتكل على حسن اختيار الله له ، لم يتمن غير ما اختاره الله له) .

وللرضا علامات ، قالها ذو النون المصرى : (ثلاثٌ من أعلام الرضا :- ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المرارة بعد القضاء ، وهيجان الحب فى حشو البلاء)

وما السبيل إلى القلب السليم ؟

(1)- الدعاء

-قال تعالى :- { قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ...{77} } سورة الفرقان.

والحق أن الدعاء هو سلاح المؤمن ، به ينتصر على أى ألم فى حياته ، وبه يهزم أى خوف يحيط به ، وبه يخرج من كل كرب مهما صعب ، ومهما أحاطت به الهموم وألمَّت به النوازل ، فالدعاء فَرَجُ كربه ، فهو الباب الذى لا يُغلق ، والنور الذى لا يُطفأ ، والأمل الذى لا يتحطم .

وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الإيمان ليخْلق فى جوف أحدكم ، كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان فى قلوبكم) / السلسلة الصحيحة (1585) وإسناده حسن .
فالإنسان هو عبد الله ، وهو الخليفة الذى اختاره الله وخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ثم هو يرجع إلى الله بعد موته ، فالإنسان من الله وإليه ، وما أجمل أن يعود العبد لسيده ، حينها ثق أن الله قريب مجيب ، مصداقاً لقوله تعالى : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ {186} } سورة البقرة، فالله يريدنا أن نعود ، وأن ندعوه وثُلحُّ عليه ، فيستجيب لنا ، لأننا عبيده ، ولأن عدوه عدونا ، وهو لن يتركنا لهذا العدو اللعين ما دمنا نستنجد به.
ولأنه يعلم ضعفنا ، وتربص هذا العدو اللعين بنا ، فلو صدقنا معه فى الدعاء وفى اللجوء به جل وعلا ، فإنه لن يخذلنا أبداً، خاصة إن صحب قولنا فعلاً يدل على صدقنا مع الله.

قال تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...{60} } سورة غافر، وقال صلى الله عليه وسلم : (أفضل العبادة الدعاء) حديث صحيح ، وجاء عنه أيضاً : (مَن لم يسأل الله يغضب عليه) ، وعنه أيضاً صلى الله عليه وسلم : (لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر ، وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يُصيبه) ، و (الدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء) ، وأيضاً: (إن الله يحب الملحِّين فى الدعاء)، وقال أيضاً : (لا يزال يُستجاب للعبد ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، مالم يستعجل ، قيل : يا رسول الله ؛ وما الاستعجال ؟ قال :- يقول : قد دعوت وقد دعوت ، ، فلم أر يُستجب لى ، فيستحسر عند ذلك ، ويدع الدعاء) . الداء والدواء ، لابن القيم ، (من 17-19) .

ورُوى عنه أيضاً صلى الله عليه وسلم :- (أفضل العبادة الدعاء) . صحيح .

وقد قال تعالى : { أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ...{62} } سورة النمل.

ولكى يستجيب الله لنا فعلينا بالآتى :-

(1)- الإخلاص :-

فالعبد الذى يدعو الله لا بد أن يخلص له فى الدعاء ؛ فلا يدعو معه غيره ، ولا يشرك به أحداً ، وليكن فى قلب العبد اليقين الجازم أن الله وحده هو الفاعل ، وأنه تعالى تفرد بالقدرة وبالمُلك وبالإجابة .

(2)- الإلحاح :-

فلا يقول دعوت فلم أر يُستجب لى ، فيدع الدعاء ، بل يصر ويستمر، ويدعو ويواظب على دعائه ، ولا ينقطع عن الدعاء أبداً .

(3)- حُسن الظن بالله :-

فلا ينتابه شك أن الله لن يجيبه ، بل يثق فى موعود الله ، ويوقن بالإجابة ، مصداقاً لما جاء : " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة " ، فينتظر فَرَج الله بنفسٍ مطمئنة واثقة ، وإذا لم يتحقق مراده كما أراد ؛ فيوقن أن الله اختار له الخير ، بل الأخير ، فترضى نفسه وينشرح صدره ، مثل هذا العبد ، الله لا يخذله أبداً ، بل يدبر له أمره خيراً مما يريد .

(4)- تقديم صدقة بين يدى الدعاء :-

..فهذا أحرى أن يتقبل الله الدعاء ، ويجيبه .والعمل الصالح يرفعه

(5)- الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم آخر الدعاء :

فكل دعاء محجوب ما لم تُصلِّ على النبى صلى الله عليه وسلم .

(6)- اغتنام الأحوال التى يُستجاب فيها الدعاء :-

مثل :- للصائم عند فطره دعوة ما تُردُّ - وعند النظر للكعبة – حال الطهارة ، فالله يحب التوابين ويحب المتطهرين – أثناء السجود ، فهو أقرب ما يكون العبد إلى ربه – حال استقبال القبلة - .....وغيرها.

(7)- اغتنام أوقات الإجابة :-
مثل :- الثلث الأخير. من الليل؛ فهو وقت إجابة – آخر ساعة يوم الجمعة ؛ أى قبل المغرب – عند نزول المطر – دُبُر الصلوات المكتوبات- بين الأذان والإقامة – عند التقاء الصفوف –وغيرها

(8)- دعاء الله بالأعمال الصالحة الخالصة ، خاصة التى هى سرٌ بين العبد وربه ؛ مثلما حدث مع الفتيان الذين أغلق عليهم مخرج الكهف ، فدعوا الله بصالح أعمالهم حتى انفرجت الصخرة ، وخرجوا بسلام .

(9)- التضرع والبكاء ؛ واستعمال أخلاق الأطفال ، والانكسار لله جل وعلا ، فهذا أحرى فى الإجابة ، وأسمع فى الدعاء .

(10)- المداومة على الدعاء ، وعدم تركه .

(11)- التوبة والاستغفار :-

فالذنوب تحول بين العبد وبين النعم ، ومن أعظم النعم : إجابة الدعاء ، كما أن الذنوب تنزل النقم والعقوبات ، كما أن الذنوب تحجب القلب عن الله ، والقلب

المحجوب لا يدعو كما ينبغى .

(12)- التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته وتوحيده :-

مثل :- (يا رب العرش العظيم – يا الله يا رحمن – يا حنان يا منان – يا ذا الجلال والإكرام – يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث) .

ومثل : (اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد ،لا إله إلا أنت ، المنان، بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حى يا قيوم).

ومثل :(اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) .

ومثل : دعوة ذى النون : { فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاه مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ { 88} } سورة الأنبياء، وقد قال عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم : (إنه لم يدع بها مسلم فى شيئ قط ، إلا استجاب الله له) . قال الترمذى : حديث صحيح .

وكما قال ابن القيم :- (والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه ، لا بحده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً ، لا آفة به ، والساعد ساعد قوى ، والمانع مفقود ، حصلت النكاية فى العدو ، ومتى تخلف واحدة من هذه الثلاثة ؛ تخلف التأثير) { ابن القيم / الداء والدواء ، صـ/24 ، ط. مكتبة أسامة الإسلامية} .

(2)- العلم الشرعي

فهو يساعد على تطهير القلب من الشبهات ، ويصرفه عن الشهوات : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ...{9} } سورة الزمر، { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء... {28} }، { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ... {11} } سورة المجادلة.

والمواظبة على مدارسة العلم تحرس القلوب من الوقوع فى المعاصى ، وتحميها من الفتن ، وتجعل صاحبها فى مامن من أن تتجاذبه الشرور ، وتتقاذفه أمواج الهوى والآثام .

فضلاً عن أن مجالس العلم تتنزل فيها الهداية ، والرحمات والسكينة ، فيزداد الإيمان ، مصداقاً لقوله تعالى :{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ... {4} } سورة الفتح.

كما أن فيها يتنزل عفو الله وغفرانه ، فيزول شؤم المعصية عن العبد ، وينصلح قلبه حيث تتلاقى قلوب الصالحين ، فى ظل روضة من رياض الجنة .

ومع مدارسة كتب العلماء : تعلو الهمم ، وتزكو النفوس ، وتنصلح القلوب ، ويُدحر الشيطان ، ويزداد الإيمان ، ويُعبد الرحمن عبادة صحيحة ، وتُصلح المعائب ، وتنهض العزائم ، وتُداوى أمراض القلوب .

أضف إلى ذلك : أن مَن يُرد الله به خيراً ؛ يفقهه فى الدين .

ومَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ؛ سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة .

فالإنسان طالما يشتغل فى طلب العلم فهو فى زيادة وليس فى نقصان ، ما دام هذا العلم خالصاً لله ، وعلى نهج رسول الله ، ويصحبه العمل .

ثم إنه لا سبيل إلى تزكية النفوس إلا بالعلم ، فالعلم يحصن أهله من كل شر ، كما أن الجهل يوقعهم فى كل إثم .

(قال عمرو بن عثمان المكى :- العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفس حَرُوْن بين ذلك ، جموحٌ . خدَّاعة . روَّاغة . فاحذرها وراعها بسياسة العلم . وسقها بتهديد الخوف . يتم لك ما تريد) مدارج السالكين / (ج2-صـ435) .

(3) – القرآن

فالقرآن هو مأدُبة الله فى أرضه ، ولا شفاء لأى داء إلا بهذا القرآن ، كما قال تعالى : { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ...{82} } سورة الإسراء، وقال تعالى :- { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء ...{44} } سورة فصلت.

والحق أن ذكر الله مطلقاً حياة القلوب ، والقرآن هو كلام الله عز وجل ، وليس أحب إلى الله من ذكره بكلامه ، وليس يُرجى لقلبٍ حياة مالم يتوجه لكتاب الله .

فالقلوب التى تتباعد من القرآن هى قلوب إما مريضة وإما ميتة ، وقد أنزل الله هذا الكتاب ذكرى ، وقال تعالى: { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الألْبَابِ {19} } سورة الرعد، وقال تعالى:{ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ {13} } سورة غافر.

فالقلب كالوعاء الفارغ : إن لم تملأه بالخير امتلأ بالشر والهوى ولا بد ،وإن حشوته قرآناً ؛ فاض على الجوارح نور القرآن وهدى الرحمن سبحانه وتعالى .

وقد قال ابن مسعود رضى الله عنه : عن النبى صلى الله عليه وسلم : (إن هذا القرآن هو حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة مَن تمسك به ، ونجاة مَن تبعه) رواه الدارمىّ (ج2 / 3315) .

وقد قال جل وعلا :{ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ {15} يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {16 } سورة المائدة، فهذا القلب الذى تشرب هذا النور ؛ أنّى له ألا يكون سليماً ، ولكن كما أن الزرع لا يُنبت إلا فى التربة الخصبة ؛ فالقرآن لا يُثمر إلا فى القلب المؤمن ، مصداقاً لقوله تعالى : { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا {82} } سورة الإسراء.

وقد فسر ابن القيم هذا الشفاء ، وقال(8): (فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب ، فلم ينزل الله سبحانه وتعالى من السماء شفاءً قط ؛ أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع فى إزالة الداء من القرآن) الداء والدواء (صـــ/ 14).اللهم طهِّر قلوبنا بقرآنك ، وأنزل شفاءه على أدواء قلوبنا وأبداننا ، ونوره على ظلمات صدورنا وقبورنا ، يا نور السموات والأرض ، يا الله .

(4)- تحقيق الإخلاص .

الإخلاص :- هو تخليص العمل من كل شريك فيه ، فلا يُراد به إلا وجه الله تعالى ، وما كان على غير ذلك فهو المردود على عامله ، المُلقى به هباءً منثوراً .

والخلاص من الشركاء فى العمل أمر شاق على النفس ، لأنها تحب كل دنيء ، وترنو لكل قريب ، ولكن الله على كل شيئ قدير ، ولا يكلف الله نفساً إلا وُسعها ، (فمن أخلص فى إرادته لله ، أعانه الله على الإخلاص فى عمله الذى يصل به إليه ، ومن داوم على اللجوء إلى الله صادقاً ، لم يكله الله أبداً إلبى غيره) ، فالله هو الذى بيده مفاتيح القلوب ، وهو الذى يزين فيها الخيرات ، ويحبب له الطاعات ، مصداقاً لقوله تعالى : { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ... {7} } سورة الحجرات، وقوله تعالى:- { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ... {21} } سورة النور.

فالإخلاص يتحقق : بالدعاء الصادق – وبالعلم لشدة الحاجة لهذه الأعمال – وبالخوف الذى يملأ القلب من غضب الله وعذابه – وبالزهد فى الدنيا وفيما عند الناس – وبوقوفه أمام نفسه بعدما راءى ؛ليقول لها : ماذا كسبت الآن ؟ وكم قد خسرت من الله ؟
وكما قيل :- (من علم شدة حاجته إلى صافى الحسنات غداً فى القيامة ، غلب على قلبه حذر الرياء ، وتصحيح الإخلاص بعمله ، حتى يوافى يوم القيامة بالخالص المقبول ، إذ علم أنه لا يخلص إلى الله جل ثناؤه إلا ما خلص منه ، ولا يقبل يوم القيامة إلا ما كان صافياً لوجهه ، لا تشوبه إرادة بشئ غيره . فمن عقل شدة ذلك اليوم ، وشدة فقره إلى صافى الحسنات، خشى أن يأتى يوم

القيامة بغدو أو رواح إلى :- علم أو صلاة أو صيام ، أو خشوع أو حج ، أو غزو أو كر على عدو فى سبيل الله لم يخلصه فيحبط ، فتصير حسناته أنقص من سيئاته ، ولو كان أخلص عمله فى الدنيا لرجحت حسناته على سيئاته ، فدخل الجنة بذلك) الرعاية لحقوق الله / للحارث المحاسبى صـ 125 ، 126 .

مصداقاً لما قاله تعالى : { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا {23} } سورة الفرقان.

وجاء فى تفسير ابن كثير لهذه الآية:

وقوله تعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ } الآية، هذا يوم القيامة حين يحاسب اللّه العباد على ما عملوه من الخير والشر، فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع اللّه، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية فهو باطل، ولهذا قال تعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا }، عن علي رضي اللّه عنه في قوله: { هَبَاء مَّنثُورًا } قال: شعاع الشمس إذا دخل الكوة. وكذا قال الحسن البصري: هو شعاع في كوة أحدكم ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع.

(5) –المجاهدة والصبر واليقين .

والمجاهدة هى أمر لنا من أوامر الله عز وجل ، مصداقاً لقوله تعالى :- { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ...{78} } سورة الحج، وقوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ {69} } سورة العنكبوت.

فالله تعالى طلب منا العمل ولم يطالبنا بالنتائج ، فأمرنا أن نجاهد أنفسنا ، ثم هو نفسه وعدنا بالهداية ، ولكن هذه المجاهدة ليست بالأمر الهين ، وإنما هى من الجهد والمعاناة والمشقة ، فمن جاهد نفسه لإصلاح معائبها واكتساب الأخلاق الحميدة فهو فى الجهاد الأكبر ، وإن الله يكون معه ، ولا يخذله أبداً ، ولكن بشرط هو (فينا) : أى الإخلاص ، فإن جاهدت بلا إخلاص فجهادك ضائع عبثًا ، وإن صبرت على مشقة الجهاد مخلصاً لله تعالى فإن الله هاديك كما وعدك .

والجهاد لا يكون إلا بالصبر ، والصبر نصف الإيمان ، ولا يتم النصف الآخر إلا به ، فالدين كله صبر ، لذا فإن الجزاء يوم القيامة لا يكون إلا للصابرين ، { سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ {24} } سورة الرعد .

ولكنت هذا الصبر لا معين عليه إلا الذى أمر به ، وهو الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : { وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ...{127} } سورة النحل، وقد حكى ابن القيم عن غيره : (لا يمكن الصبر له ، إلا بالصبر به) .

والصبر هو ثبات باعث العقل والدين ، فى مقابل باعث الهوى والشهوة)عدة الصابرين ،/ صـــ 41 ، صـ 15 ،ط . دار القلم للتراث .

فالصبر مرٌّ كاسمه ، ولكن عاقبته حلوة ، كالدواء المر يعقبه الشفاء ، والله لم يُجاز المؤمنين بجنة عرضها السموات والأرض ، لهم فيها ما يشتهون ، إلا بصبرهم فى الدنيا عن كل ما يشتهون مما حرمه الله .

وأما اليقين : فهو ذلك النور الذى يملؤ القلب استشعاراً بأن الله معه ، ولن يضيعه ، وأنه سيهديه ، وسيرشده ، وسيقود خطاه ، وهو الذى يملؤ القلب تصديقاً لكل ما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسوله .

والحق أنه لا يقدر أحد على الصبر إلا باليقين بالعاقبة الجميلة التى تعين على الصبر وتقوى عليه ، ولا صبر إلا بالمجاهدة ، ولا مجاهدة إلا بصبرٍ ويقين .

(6)-التوبة والاستغفار .

التوبة الصادقة حياة القلب الميت ، والقلب بلا توبة هو جبل من الذنوب .
والتوبة أمر الله عز وجل ، { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {31} } سورة النور، { وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {11} } سورة الحجرات، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...{8} } سورة التحريم.

يقول ابن القيم :- (ولما كانت التوبة هى رجوع العبد إلى اله ، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم ، ولا تحصل هدايته إلا بإعانته وتوحيده) مدارج السالكين ،ج1 / صـ 176.

وقال : (فحقيقة التوبة : هى الندم على ما سلف منه فى الماضى ، والإقلاع عنه فى الحال ، والعزم على ألا يعاوده فى المستقبل ، والثلاثة تجتمع فى الوقت الذى تقع فيه التوبة) نفس المصدر / صـ 179 .

وأما الاستغفار : فهو أيضاً أمر الله تعالى : { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا {10} } سورة نوح، { وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ... {3} } سورة هود، { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ {33} } سورة الأنفال.

وقال ابن القيم : (9) : (فالاستغفار المفرد كالتوبة ، بل هو التوبة بعينها ، مع تضمنه طلب المغفرة من الله . وهو محو الذنب ، وإزالة أثرة ، ووقاية شره) ، (وأما عند اقتران اللفظتين : فالاستغفار : طلب وقاية شر ما مضى ، والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه فى المستقبل ، من سيئات أعماله) ، (وأيضاً فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقاً تؤديه إلى هلاكه . ولا توصله إلى المقصود ، فهو مأمور أن يوليها ظهره . ويرجع إلى الطريق التى فيها نجاته . والتى توصله إلى مقصوده. وفيها فلاحه) /مدارج السالكين / ج1 –

صـ 297 ، 298 .
وما لم يُطهَّر القلب بالتوبة ، فلا سلامة له ، وإن داوم على التوبة الصادقة ، فالسلامة منه قريبة .

(7)- قوة الإيمان بالله

استسلام – خشية – رضا .

سلامة القلب لا يمكن بشتى الصور أن تحدث إلا فى قلب المؤمن ، فمهما خلا قلب من الشهوات بلا إيمان بالله فلا يكون سليماً أبداً حتى يكون مؤمناً .
والإيمان الصادق يطهر القلوب ، ويوجب لها السلامة ، التى عليها مدار حياتها ونجاتها ، وذلك يؤكده كون الإيمان موصلاً صاحبه إلى الجنة ، ومنجيه منم النار ، وهذا لا يكون إلا لذى القلب السليم .
والإيمان يعطى صاحبه قوة كبرى فى قلبه ، فهو يستشعر كونه فى جنب الله ، وأنه مع ملك الملوك ، فيصير قوياً بذلك ، لا يخش إلا الله ، ولا يحب سواه ، ومحابُّه الأخرى من زوجة وولد وأهل ومال ، إنما هى منبعثة من محبته لله ، فهم بلاغه إلى رضا الله عنه ، ويصير همه واحداً ، وهو مرضاة ربه ، والوصول لقربه وحبه .
وبهذا الإيمان الذى يملؤ قلب صاحبه ، يصير القلب سليماً .
ولا يقوى إيمان العبد حتى يتملك عليه قلبه ولبه ، إلا حينما يخشى الله ، فالخشية تكون له بمثابة النار التى تضئ سراج الإيمان فى قلبه ، ثم هو يستسلم لربه ، ويرضى بقضائه وقدره ، بعد أن يسرج فى قلبه نور الإيمان ويُزهر .
وقد روى الترمذى وغيره عن النبى : أنه قال : (إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح ، قالوا : فما علامة ذلك يا رسول الله ؟ قال الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله) حديث ضعيف .
ولكى يدخل الإيمان فى القلب ، فلا بد أن يُخَلَّى من الشرور ، ويُطهَّر من النجاسات ، كما قال ابن القيم : (فإذا كان القلب ممتلئاً بالباطل اعتقاداً

ومحبة ، لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع)، (ومن لم يعكف قلبه على الله وحده ، عكف على التماثيل المتنوعة) الفوائد / صـ 37، وصـ 216 .

(8)-مرافقة الصالحين

ذوى القلب الذى يُظنُّ سلامته .

فكما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: (المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل) جاء بسند صحيح في صحيح الجامع (3545) .
وقد قال تعالى :- { الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ {67} } سورة الزخرف.
فالصديق التقى من خير ما يُغتنم من الدنيا ، فإذا سها الإنسان ذكره ، وإذا ضل أرشده ، وإذا عمى عن الحق بصَّره ، وإذا تاهت خطاه أخذ بيده وقادها للخير .
وكما قيل (الطبع لص) ، فالذى يجالس ذوي القلب السليم : فى مجالس الذكر ، ورياض الجنة ، لا بد وأنهم سينقلون إليه طباع الخير فيهم ، لأن القلب السليم تفيض خيراته على الجوارح ومنها اللسان ، فيسوقوه بألسنة الخير إلى طريق الخير ، ويسلم معهم من الذنوب ، فيسلم قلبه بإذن الله .
وكذلك من يرافق أهل الشر ويجالسهم ، فإنهم ينقلون شرهم إليه ، ويبثون سمومهم فى قلبه ، حتى وإن كان قلبه سليماً .
لذا فعلى المؤمن العاقل الذى يرجو سلامة قلبه أن يتخير رفقة صالحة ، يُظنُّ بهم سلامة قلوبهم من سيماهم ، ومن ظاهر أعمالهم ، ومن هجرهم لما حرَّم الله ، ولمن عصى الله ، ليستعين بهم على ترقيق قلبه ، وتكسير حجارته ، وإحياء مواته ، وشفاء أدوائه ، والحق أن الشافى هو الله ، ولكن لعل الله يرسل الدواء على يد أحدهم .
وليستخير الله قبل اختيار صديقه ، فربما كانت سريرته غير ما يظهر ، والصادق يقود الله خطاه ، ويهديه سواء السبيل .
(لئن تصدق الله ليصدقنك الله) .

(9)- الانشغال بالطاعات .

الإنسان حين يشغل نفسه بعمل ما ، شغلاً تاماً ، يتشرب قلبه هذا الشغل ، وينشغل به .
والقلب السليم لا يسلم وصاحبه منشغل بغير رضا الله ، فسلامة القلب : طريقها طاعات كثيرة ، ملأى بالإخلاص .
فلا يُظن بإنسان كل ما يشغله هو زوجه وأبناؤه ، وعمله وتجارته ، وماله ، ومسكنه ، وأهله ، لا يظنُّ به أبداً سلامة القلب ، ليس معنى هذا الكلام تحريم هذه الأشياء ، بل هى حلال ومباحة ، ولكن كما جاء فى الآية الكريمة من سورة التوبة { قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ {24} }

وقال تعالى :- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ...{14} } سورة التغابن، وقال جل وعلا في الآية التي تليها : { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ...{15} } سورة التغابن.
والحق أن الإنسان حين يستفرغ وقته فى شئ ، فإنه يسلبه قلبه ، ويظل يفكر فيه ، فكما قال ابن الجوزى : (والذى يعين على اغتنام الزمان ، الانفراد والعزلة مهما أمكن ، والاختصار على السلام ، أو حاجة مهمة لمن تلقى) /صيد الخاطر / صـ 497 – ط . دار الحديث القاهرة .
فالقلب السليم لابد له من أن يُزرع فى بيئته كى تنمو شجرته ، وتثمر أوراقه ، وهذه البيئة هى بيت الله : المسجد ،مصداقاً لقوله تعالى : { نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ

يَخَافُونَ يَوْمًا يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38). } سورة النور.

ففى المساجد توزع الأنوار ، ويُؤْتَى فضل الله ، ومن الطاعات والقربات التى يُرجى منها سلامة القلب (الاعتكاف – قيام الليل – صلاة الجماعة – حِلق الذكر _ تدبر القرآن _ الصدقات – الرحمة بالفقراء والأيتام – الحج والعمرة – ذكر الله – كثرة الاستغفار والتوبة – طلب العلم – الدعوة إلى الله) وغيرها .

نسأل الله أن يستخدمنا ولا يستبدلنا ، وأن يشغلنا بطاعته وذكره ورضاه عما سواه .

(10) – البعد عن الذنوب .

الذنوب هى الداء العضال ، وهى الصخور المتراكمة فوق رؤوس العباد حتى صارت جبالاً، والناس عنها فى غفلة ويستصغرونها ، وهى توشك أن تسقط عليهم فتهلكهم ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها) رواه أحمد، 2470 – صحيح الجامع.

والذنوب هى أخطر شئ على القلب على الإطلاق ، فهى تفسد القلب وتفتنه وتقلبه حتى يصل بها الأمر أن تضيعه .

وفى المسند وجامع الترمذى من حديث أبى صالح عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله :- (إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكت فى قلبه نكتة سوداء ، فإذا تاب ونزع واستغفر ، صُقِل قلبه ، وإن زاد زادت ، حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل : { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ {14} }) سورة المطففين، قال الترمذى :- حسن صحيح ، وأخرجه النسائى.

وكثرة الذنوب هذه تقسى القلب : { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...{74} } سورة البقرة، (وصاحب القلب القاسى لا تؤثر فيه موعظة الموت ، ولا رؤية الأموات ، ولا الجنائز ، وربما حمل الجنازة بنفسه ، ووراها بالتراب ، ولكن سيره بين القبور كسيره بين الأحجار) ظاهرة ضعف الإيمان / لمحمد صالح المنجد / صـ 6 .

فلا سلامة للقلب إلا إذا تباعد من الذنوب ، مصداقاً لقوله :- (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن غض بصره عن محاسن امرأة لله ، أورث الله قلبه حلاوة إلى يوم يلقاه) . هذا معنى الحديث .

فترك الذنب لله ، يجعل الله يعوض عبده خيراً مما ترك ، ومَن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه .

والحق أنه كما قيل :- (ترك الذنوب حياة القلوب).

(وقال بعض السلف : المعاصى بريد الكفر ، كما أن القبلة بريد الجماع ، والغناء بريد الزنا ، والنظر بريد العشق ، والمرض بريد الموت) الداء والدواء / صـ 66.
فمن ابتعد عن الذنوب وأسبابها ، وداوم على التوبة ، حرس قلبه ، وحماه من الشرور ، وسلم له قلبه من كل شر .

(11)- ذكر الموت وما بعده ،

والاستهانة بالدنيا وما فيها .

إن القلب الذى يداوم على تذكر الموت ، تصحبه الخشية ، ومن صحبته الخشية نجا بإذن الله تعالى ، لأنها تدعوه لتقوى الله ،وتجنبه الوقوع فى المعاصى والذنوب ،وتباعده عن كل شبهة ، فيسلم قلبه ولابد – بإذن الله – حيث يحرق نور الشهوة نار الشهوات والشبهات ، ويخلص قلبه لله من كل شوب .

وذكر الموت كثيراً يُلَيِّنُ القلب القاسى ، ويُدمع العين الجامدة ، ويجعل الإنسان يسارع بالتوبة ، ويستكثر من الصالحات ، ويهجر المعاصى ، ويندم على ما فات ، لذا حض النبى عليه ، فقال صلى اللّه عليه وسلم: (أكثروا ذكر هاذم اللذات ، يعنى الموت) رواه الترمذى (2307) ، وهو فى صحيح الجامع (1210) ، وقال : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ، فإنها ترق القلب ، وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ، ولا تقولوا هجراً) رواه الحاكم (1/ 376) ،وهو فى صحيح الجامع (4584) .

فذكر الموت يخوف القلب ، والقلب الخائف من الله يسلم : (قال أبو حفص : الخوف سوط الله ، يُقوِّم به الشاردين عن بابه ، وقال : الخوف سراجٌ فى القلب ، به يبصر ما فيه من الخير والشر ، وكل أحد إذا خفته هربت منه ، إلا الله عز وجل ، إذا خفته هربت إليه) مدارج السالكين ، ج1- صـ 488 .

وقال ابن الجوزى:(وأيُّ موعظة أبلغ من أن ترى الأقران ، وأحوال الإخوان ، وقبور المحبين ، فتعلم أنك بعد أيام مثلهم ، ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بك ، هذا والله شأن الحمقى .) صيد الخاطر / صـ 340 .

وأما عن الدنيا فالدنيا أكبر حلم نحياه ، وأكبر وهم نصدقه، والوهم لابد له من نهاية ، والحلم لابد له من يقظة ، ثم لا نلبث أن نجد معنا من الحلم شيئاً ، واليقظة يوم الموت ، وعند دخول القبر ، ومعاينة الحياة الأخرى .

فما أكبرها من وهم نعيشه ، ثم لا يلبث أن يفوّت منا الخير ، ثم يفوتنا

ويرحل .
قال ابن الجوزى :- (الدنيا فخ ، والجاهل بأول نظرة يقع ، وأما العاقل المتقى ، فهو يصابر المجاعة ، ويدور حول الحب ، والسلامة بعيدة) المصدر السابق / صـ 202 .
فالدنيا فتانة ، ولكنها لا شئ ، وقد قال عنها المولى عز وجل : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور {185} } سورة آل عمران.
فمن علم هوان الدنيا على الله ، وغدرها بأهلها ، وسرعة انقضائها ، وكدر لذاتها ، فضلاً عن كثرة منغصاتها ، وثِقل أعبائها وتكاليفها ، من عرف ذلك : آثر ما يبقى على ما يفنى ،وأخرج الدنيا من قلبه تماماً ، فسلم قلبه من حبها ، ومن التعلق بزينتها وزخرفها الزائل حتى وإن امتلكها بأسرها .
فاحتمى بإخراجها من قلبه من التعلق بشهواتها ، والتجمل لعبيدها ، ففرَّ إلى الله ، وصار سليم القلب .
وقد جاء أن رسول الله : قال مخاطباً أحد الصحابة : (كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال مؤمناً حقاً ، قال : انظر ما تقول ، فإن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها (أى يصيحون ويبكون). ، قال : عرفت فالزم ،عرفت فالزم ،عرفت فالزم) رواه الطبرانى .
لا أبلغ موعظة فى هوان الدنيا ، وسرعة انقضاء متاعها وفواته من قوله تعالى : { أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ {205} ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ {206}مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ {207} } سورة الشعراء؟؟!!!
وكما قيل: فاللذة تفنى والتبعة تبقى .
والله المستعان على ما يرضيه .

ما الخطر على صاحب القلب السليم ؟

الإنسان الذى سلم قلبه – إن لم يحتم من الشرور التى تحدق به من كل جانب، ومن الكيد الذى يكاد له – فإنه سينجرف مع التيار وتتبدل سلامة قلبه ، وتعود حياة قلبه مواتاً. مثل الإنسان المعافى صحيح الجسم، فى مجتمع تنتشر فيه الأوبئة والأمراض الخطرة، إن لم يتحصن هذا الإنسان ويحذر من أسباب العدوى فإن المرض ينتقل إليه ولا بد، وتتبدل سلامته مرضاً وعافيته بلاءً .

وصاحب القلب السليم يحدق به خطر كبير من الفتن والذنوب التى يعتادها الناس ويقبلها المجتمع، والدنيا السحارة، والنفس الأمارة، والشيطان اللعين ، والهوى الذى يصرع أهله ، والشواغل الكثيرة من أعباء الدنيا ومسئولياتها ، والتى تتخطف القلب من عزلته لترمى به فى معترك الحياة ، فينجلى عنه صفاؤه وتذهب حلاوة إيمانه، ومخالطة الشرور تجلب الشر دائماً، (ومن حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه) .

1)- أرض الفتن ورفقة السوء .

قال ابن الجوزى : (من أراد اجتماع همه وإصلاح قلبه ، فليحذر مخالطة الناس فى هذا الزمان *** ، فإنه قد كان يقع الاجتماع على ما ينفع ذكره ، فصار الاجتماع على ما يضر).
وقال : (فإذا فسحت لنفسى فى مجالسة الناس ولقائهم ، تشتت القلب المجتمع ، ووقع الذهول عما كنت أراعيه ، وانتُقش فى القلب ما قد رأته العين ، وفى الضمير ما تسمعه الأذن ، وفى النفس ماتطمع فى تحصيله . وإذا جمهور المخالطين أرباب غفلة ، والطبع بمجالستهم يسرق من طباعهم ، فإذا عدت أطلب القلب لم أجده ، وأروم ذاك الحضور فأفقده ، فيبقى فؤادى فى غمار ذلك اللقاء للناس أياماً ، حتى يسلو الهوى) صيد الخاطر – صـ "369، 370 " .
وقال رحمه الله :- (فإذا وقعت المخالطة ؛ انتُقض ما بُنى فى مدة ، فى لحظة ، وصَعُب التلاقى ، وضَعف القلب) .
فما بالنا ونحن نعيش فى عصر مكتظ بالفتن ، وما بالنا إن كان رفقة أهل الدنيا العاديين تتعب القلوب ، فكيف بأهل المعصية ورفقة السوء .
_ والحق أن التواجد فى أماكن الفتن يدفع الإنسان للمعصية ، فحين يشعر الإنسان أن كل من حوله يعصى الله ؛ فإنه تسهل عليه المعصية ، وكما أنه لا سلامة لقلب من يتمادى فى المعاصى ، فإنه لا سلامة لقلب من يحيا فى أرض تُعرض فيها عليه الفتن بكرة وعشياً ، فالحذر الحذر، والتباعد التباعد، قدر المستطاع .

*** يقول هذا على زمانه ، وهو المتوفَّى 597 هـ ، فماذا نقول نحن الآن ؟!! نسأل الله رحمته ، وأن يسلم قلوبنا من هذا الهرج ، ومن الفتن المتوالية .

وأما رفقة السوء :- فوالله إن القلب ليقسو من مجرد مخالطتهم، فكيف بمصادقتهم ومرافقتهم .

فمن أراد لقلبه السلامة ؛ تباعد من طرق الندامة .

{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا {27} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا {28} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا {29} } سورة الفرقان.

(2)- التقلب .

والتقلب هو خاصية القلب، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما سُمّى القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة فى أصل شجرة ، يقلبها الريح ظهراً لبطن) رواه أحمد (4 / 8-4) وهو فى صحيح الجامع (2365) ، وقال صلى الله عليه وسلم: (لقلب ابن آدم أسرع تقلباً من القِدر إذا استجمعت غلياناً) إسناده صحيح – ظلال الجنة (1/102). ، وقال صلوات ربي عليه وتسليماته : (إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد ، يصرفه حيث يشاء)، ثم قال: (اللهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك) رواه مسلم رقم (2654) / ط . عبد الباقي) .

* فالخطر كل الخطر فى ترك القلب للفتن ، فينقلب بعد السلامة ، والحق أن الحافظ للقلب هو الله ، وربما كان الله يقلب القلب عقوبة له على الذنوب ، فالقلب السليم فى روضة من رياض الجنة ، ينعم بسلامته ، فإذا جاءت الذنوب ، ولم تحصل التوبة الماحية للذنب ؛ نزل العقاب ، مصداقاً لقوله تعالى : { مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ... {123} } سورة النساء.

(3)- الفتور .

مصداقاً لما جاء عن النبى صلى اللّه عليه وسلم :- (ما من القلوب قلبٌ ، إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بينا القمر مضئ إذْ علته سحابة فأظلم ، إذ تجلت عنه فأضاء) / رواه أبو نعيم فى الحلية (2/196) ، وهو فى السلسلة الصحيحة (2268) ، وقوله صلى اللّه عليه وسلم :- (لكل عمل شرة ، ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتى فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك) رواه أحمد (2/ 210) ، وهو فى صحيح الترغيب رقم (55) .

ولعل هذه الحالة تنتج من ذنوب ، أو تكاسل عن القربات ، أو انشغال بالدنيا وبنعم الله على العبد ، فيُنْتقص الإيمان ، المهم أن الفتور موجود ، والخطر كل الخطر فى التمادى فيه ، فقد يصيب الإنسان فتور ، ثم يتداركه بعد فترة قليلة ، ويعود كما كان أو ربما خيراً مما كان ، وقد يتمادى فينقلب ، وقد يهلك .

لذا فعلى الإنسان أن يبادر بعلاج الفتور : بالطاعات والقربات ، واجتناب المحرمات ، ولينظر أى الأعمال الصالحة أخف على قلبه ؛ فيستكثر منها ، وليحارب نفسه ، ويكثر من الاستغفار ، وليستعن بالله الذى بيده القلوب ، وليشد أزر نفسه برفقة صالحة تحميه من الضياع ، وليتلو القرآن ولو بلا قلب ، وليذكر ولو باللسان فقط ، وليصلى ولو انشغل قلبه .

ولعل أكثر ما يقضى على الفتور ، وينقذ القلب ويوقظ الإيمان :- موعظة الموت : بزيارة القبور ، أو مشاهدة الموتى ، و زيارة المستشفيات التى تمتلئ بالمرضى بأمراض شديدة ، فإنها تورث القلب قِصَر الأمل ، والخشية من الله ، فينقطع الفتور بإذن الله ، وتدأب النفس فى تحصيل الطاعات ، والاستكثار من الخيرات والصالحات ، فيجد فى سيره إلى الله ،ويتابع خطواته إلى رضوانه .

وأهم شئ ألا يترك نفسه لنفسه ، فتشده للهلاك ، وتجذبه لأسفل ، فلا يزال ينزل حتى يبلغ أسفل سافلين . نسأل الله السلامة .

ليطلب قلبه بحلق الذكر ، وبرفقة صالحة تذكره ، وبركعات فى جوف الليل يحيي بها الله موات قلبه ، وبالتلاوة لآى القرآن ، وبالذكر ، وبالعلم .

_ المهم ألا يستسلم : لأنه إن طال الفتور فقد ينقلب عادة ، ثم يبقى حبيسه ولا يعود .

(4)- مفسدات القلوب .

وهى كما قال ابن القيم :- (كثرة الخلطة – والتمنى – والتعلق بغير الله – والشبع – والمنام ، فهذه الخمس من أكبر مفسدات القلب) مدارج السالكين – ج1 (صـ 434 – 440).

وقال : (وهذه الخمس : تطفئ نوره ، وتعور عين بصيرته ، وتثقل سمعه ، إن لم تصمه وتبكمه – وتضعف قواه كلها ، وتوهن صحته ، وتفتر عزيمته ، وتوقف همته ، وتنكسه إلى ورائه . ومَن لا شعور له بهذا فميت القلب) .وقال :

1_ (فأما ما تؤثره كثرة الخلطة : فامتلاء القلب من دخان أنفاس بنى آدم ، حتى يسودَّ ، ويوجب له تشتتاً وتفرقاً ، وهماً وغماً ، وضعفاً .....).

2_ (ركوبه بحر التمنى : وهو بحر لا ساحل له ، وهو البحر الذى يركبه مفاليس العالم ، كما قيل إن المنى رأس أموال المفاليس .....وصاحب الهمة العلية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان ، والعمل الذى يقربه إلى الله ، ويدنيه من جواره) .

3_ (التعلق بغير الله تبارك وتعالى : وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق ، فليس عليه أضر من ذلك . ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه ، فإنه إذا تعلق بغير الله ؛ وكله الله إلى ما تعلق به ، وخذله من جهة ما تعلق به ، وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل بتعلقه بغيره ، والتفاته إلى سواه .....) .

4_ (الطعام ، والمفسد له من ذلك نوعان : أحدهما : ما يفسده لعينه وذاته ، كالمحرمات *** .....

(والثانى : ما يفسده بقدره ، وتعدى حده ، كالإسراف فى الحلال ، والشبع المفرط ، فإنه يثقله عن الطاعات.....)

5- كثرة النوم : فإنه يميت القلب ، ويثقل البدن ، ويضيع الوقت ، ويورث كثرة الغفلة والكسل .....). انتهى كلامه رحمه الله .

ومن مفسداته أيضاً : الدنيا – الذنوب – الفتن – الغفلة – الهوى – الشيطان – ترك أبواب القلب بلا ضابط (العين – السمع – اللسان – العقل) .

نسأل الله طهارة قلوبنا.

*** سواء الحرام من لحم الخنزير ، وشرب الخمر ، والدخان ، وغيره ، أو المشترى بالمال الحرام أو الطعام المسروق وغيره .

(5)- الذنوب والمعاصى والغفلة .

قال ابن عجيبة الحسنى: (موت القلب سبه ثلاثة أشياء :- حب الدنيا ، والغفلة عن ذكر الله ، وإرسال الجوارح فى معاصى الله _ وسبب حياته ثلاثة أشياء :- الزهد فى الدنيا ، والاشتغال بذكر الله ، وصحبة أولياء الله ، وعلامة موته ثلاثة أشياء :- عدم الحزن على ما فات من الطاعات ، وترك الندم على ما فعلت من الزلات ، وصحبتك للغافلين الأموات ،) إيقاظ الهمم فى شرح الحكم / صـــ121 – ط . المكتبة التوفيقية .

وقال عبد الله بن مسعود :- (المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه ، فقال به هكذا فأطاره) .

والحق أن الذنوب سبب كل شر فى الدنيا والآخرة مصداقاً لقوله تعالى :- { وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ {30} } سورة الشورى، وقوله :- {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ ... {165} } سورة آل عمران ، وقوله تعالى :- { مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا {79} } سورة النساء.

وقد قال ابن الجوزى: (للذنوب تأثيرات قبيحة ، مرارتها تزيد على حلاوتها أضعافاً مضاعفة) ، (قدِّر أن ما تؤمله من الدنيا قد حصل ، فكان ماذا ؟ ما هو عاجل ، فشغلك عاجلاً ، ثم آخر جرعة اللذة شرقة ، وإما أن تفارق محبوبك ، أو يفارقك . فيالها من جرعة مريرة ، تود عندها أن لو لم تره) ، (أما فى هذه القبور نذير ؟ أما فى كرور الزمان زاجر ؟ أين من مَلَكَ وبلغ المنى فيما أمَّل ؟ نادهم فى مناديهم ، هيهات ، صمُّوا عن مناديهم !) ، (فرُبَّ زلة أوقعت فى بئر بوار ، ورُبَّ أثر لم ينقلع ، والفائت لا يُستدرك على الحقيقة ، فابعد عن أسباب الفتنة ، فإن المقاربة محنة ، لا يكاد صاحبها يسلم) .

[صيد الخاطر / صـــ 202 ، 203]

أما عن الغفلة :- فهى نسيان العبد لربه وغفلته عنه، وقد جعلها الشيطان

مصيدته يصطاد بها عباد الله، وقد قال الله تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {19} } سورة الحشر.
والغفلة والمعاصى حليفتان، فالذى ينسى الله ماذا سيصده عن معصيته وهو ينساه ؟!! وقد قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا {28} } سورة الكهف، فالغفلة تعين على اتباع الهوى، فينفرط أمر صاحبها ولا بد .

كيف نحافظ على القلب السليم ؟

إن وقع عاقل فى شر ثم قام عنه، تدبر أمره ما الذى أوقعنى ؟ ثم أخذ الحذر ، ولا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين.
وإذا مرض اللبيب بمرض ثم شفى منه ، نظر ما كان أمرضه ، فأبعده ، وفارق كل ما يعينه على الرجوع إليه .
والقلب السليم يُخشى عليه من المرض ، كما يخشى عليه من الموت والهلكة، وياليتها كانت هلكة الدنيا ، ولكنها هلكة الآخرة ، أفلا نحمى قلوبنا ؟!!!

ولهذه الحماية خطوات :-

(1)- الاعتصام بالله ، والفرار إليه .

قال تعالى :- { وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {101} } آل عمران / "101 " ، وقال جل وعلا : { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ...{103}} آل عمران / "103 " ، وقال أيضاً : {وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ {78} } الحج / "78 " ، وقال تعالى :- { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {50} } الذاريات / "50 .

وقد جاء فى تفسير ابن كثير فى قوله تعالى :- {وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }، أي ومع هذا فالاعتصام باللّه والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد، وجاء فى تفسير السعدى :(من يعتصم بالله : أى من اعتصم به ، فتوكل عليه ، وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر ، واستعان به على كل خير)

وقال ابن القيم :- (الاعتصام : افتعال من العصمة ، وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور والمخوف ، فالعصمة الحمية ، والاعتصام الاحتماء)/ مدارج السالكين ، ج1 – صـ 440 ، 442 .
وقال (فأما الاعتصام بحبله فهو يعصم من الضلالة ، والاعتصام به يعصم من الهلكة) ، وقال (ثمرة الاعتصام به هو الدفع عن العبد ، والله يدافع عن الذين ءامنوا) .

وقال فى الفرار :- (وحقيقة الفرار : الهرب من كل شئ إلى شئ ، ففرار السعداء الفرار إلى الله عز وجل) / المصدر السابق ، صـ 447، 448 .
وقال ابن عباس فى قوله تعالى :- { ففروا إلى الله } :- ففروا منه إليه ،

واعملوا بطاعته .
والحق أن النجاة والسعادة كلها فى هذا الفرار وهذا الاعتصام ، كمثل طفل صغير يتربص به أعداؤه من كل جانب ، وهو فى كنف أبيه الذى يحبه بشدة ويحنو عليه ، وفى حفظه التام ، والطفل فرح مسرور ، ممتنع بقوة أبيه عن شرور الأشرار ، فإن تركه أهلكوه ، وإن ظل محتمياً به مرتمياً على بابه ، منطرحاً بين يديه ، لم يصبه الضر ما دام كذلك .
فالمعتصم بالله الفارُّ إليه : يقف فى جنب الله ، يطيعه ويعصى من سواه ، ويبره ويعق من سواه ، ولو كانت الدنيا بأسرها ، ويرضيه ويسخط من عداه ، فكما أنه مع الله بطاعته وإيثاره ، فالله معه بحفظه وعونه ، يكفيه همه ، ولو قبل السؤال ، ويحفظه من كل ضر ، ويفتح له كل باب خير فى الدنيا والآخرة .

(2)- حراسة القلب ، والمداومة .

للقلب أبواب أربعة ، هى (العين – الأذن – العقل – اللسان)، والقلب كالبيت ، وهو مفتوح الأبواب ، فإن تُركت الأبواب بلا حراسة ، دخل اللص ، وسرق الدار ، وضاع ما فى القلب من كنوز البر والحب ، والخوف والأنس ، وغيرها ، وإن شُدِّدت الحراسة ، حُمى القلب ، وحُميت كنوزه ، وظل سليماً .

فالرقابة من صاحب البيت على جوارحه محتمة ، فيراعى ألا تنظر عيناه لما حرَّم الله ، وألا يُسمع أذنه ما حرم الله، وألا يقول لسانه ما يُغضب الله ،وألا يترك فكره وخواطره تسنح في شر يبعده من الله ، وألا يتعلم بعقله علماً يصرفه عن الله ، فإن فعل كل هذا فقد حرس داره وحمى كنوزه ، وإن ترك الأمر هكذا ، دخلت الفتنة واستولى الشيطان على القلب استيلاءً عنيفاً ، وأخذ ينازع صاحبه سلامة قلبه .

كما أنه مما لا يُغفل أهميته العظيمة : أمر المداومة ، فالمنقطع مقطوع ، والمتصل موصول ، فلا بد أن يجاهد الإنسان نفسه فى الاستمرار على ما فيه فلاحه ، وأن يصابر في مجال التقوى باجتناب الشر وفعل الخير، فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ.

وليحذر من السقوط ، فأول الهاوية زلة قدم ، فقد يظل الإنسان على الخير مستقيماً ، ثم يترخص فى ذنب ،فيسقط فى الشر، ويظل ينزل بلا عودة . كما قال أحد السلف : (تسامحت بلقمة فتناولتها ، فأنا الآن من أربعين سنة إلى الوراء) .

(3)- البيئة الإيمانية ، والرفقة الصالحة .

قد يوجد الله الإنسان فى بيت مؤمن ، يعرف لله حقه ، ويقيم شرع الله ، فإن كنت منهم فاحمد الله واشكر النعمة ، وإن كنت ممن ابتلاه الله ببيت لا دين فيه ، فلتسارع بالفرار ***، فبيئة الشر لا تولّد إلا شراً ، أو ليجاهد نفسه أن يتجنب شرها قدر المستطاع ، وليدع ربه أن يوجد له مخرجاً طيباً .

فوالله ما سلم قلب من جلس يشاهد المسلسلات والأغنيات والأفلام ، ويستمع إلى المحرمات والمنكرات .

ولاسلم قلب الذى أخذ يمشى فى الطرقات ليشاهد الغاديات والرائحات ، أو أخذ يختلط فى المواصلات أو فى الجامعات وأماكن العمل .

ولا سلم قلب من رافق صديقاً غير مؤمن ، لا يجد منه إلا الشر .

فإن أردت أن تثمر شجرة إيمانك: فضعها فى تربة صالحة ، نظيفة من الفتن والذنوب، وروِّها بأصدقاء صالحين ، يعينوك على كل خير ، ويأخذوا بيديك لكل معروف وبر .

*** أي ينشئ له بيتاً ديناً، وأسرة ملتزمة تتعرف حق الله، يستصحب فيها زوجة مؤمنة، تذكره إذا نسى، وترشده إذا ضل، وتشد أزره على الطريق، وتعينه إذا ذكر، فهى خير ما يكنز المؤمن، وكذلك الزوج الصالح .

(4)- شكر الله وتقواه .

والشكر حافظ النعم – بإذن الله – مصداقاً لقوله تعالى : { لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ {7} } سورة إبراهيم، وهو أمر الله عز وجل : { وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ {152} } سورة البقرة، وهو جزاء الله لعباده الصالحين { إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا {22} } سورة الإنسان، وهو الذى ما فاز به إلا القليل من عباد الله { وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ {13} } سورة سبأ، وهو مستهدف الشيطان ليضيعه من العباد { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {16} ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {17}} سورة الأعراف، فالعبد الذى يهبه الله نعمة فيستخدمها فى طاعته ، ويمتلئ قلبه شكراً وحباً للمنعم ، ويلهج لسانه بالثناء عليه وحمده وشكره ، هو الذى يحفظ الله له نعمته ، ويبارك له فيها، والقلب السليم من أعظم النعم ، لأن نفعه يعم الدنيا والآخرة .

أما عن التقوى فهى التى لا فلاح فى الدارين إلا بها، قال تعالى:{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا {2} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ... {3} } سورة الطلاق، وقال تعالى: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ {29} } سورة الأنفال، وقال جل في علاه: { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا {4} } سورة الطلاق، وقال جل جلاله: { وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا {71} ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا {72} } سورة مريم.

فالتقوى مفتاح كل خير ، والمتقى فى مأمن من كل شر، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المتقين .

ولا شك أن الأمر كله بيد الله ، وأن الله هو المعين على ما يوصل إليه ، وهو المعين على التقوى ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وقد جاء فى تفسير ابن كثير عن قوله تعالى: { وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} روى الإمام أحمد، عن ابن عباس: أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال له

رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ اللّه يحفظك، احفظ اللّه تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل اللّه، وإذا استعنت فاستعن باللّه، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللّه عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (رواه أحمد والترمذي، وقال الترمذي: حسن صحيح). وقال الإمام أحمد، عن ابن مسعود، قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمناً أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها باللّه تعالى أتاه اللّه برزق عاجل أو بموت آجل" (أخرجه الإمام أحمد). وقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ } أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريده.

إذن فلا يؤخذ العون على طاعة الله إلا من الله وحده جل وعلا .

(5)- علو الهمة .

الهمة العالية تقود صاحبها دائماً للعلو ، ومن كان صاعداً فلا يُظنُّ به النزول ، فالهمة العالية تشغل صاحبها بتحصيل الخيرات ، وتصرفه عن الدنئ من الأمور وعن سفاسفها ، وطالما أن نفسه مشغولة بالتزكية والزيادة فيها فهو فى ارتقاء ، وفى حفظ لنفسه من شر الضياع .

كما قال ابن الجوزى :- (ولله أقوامٌ ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها ، فهم يبالغون فى كل علم ، ويجتهدون فى كل عمل ، ويثابرون على كل فضيلة ، فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك ، قامت النيات نائبة ، وهم لها سابقون) صيد الخاطر / صـ 283 .

وصاحب الهمة العالية يكون فى شغل بهمته ، والناس من حوله يتهافتون على الدنيا ، ولسان حاله يقول : اذهبوا عنى بدنياكم فلا حاجة لى بها ، وهو فى شغله بتحصيل كل علىّ ، فهو يرتقى بنفسه فى علمه وفى عمله ، وفى مجاهدته لنفسه ، واكتسابه للأخلاق الفاضلة ، فما أبعد من هذا شأنه عن أن يخضع قلبه للدنيا ، ويخسر سلامته ، وكما قيل :- (حسنات الأبرار ، سيئات المقربين) .

فاللهم اجعلنا من خيرة عبادك المقربين ، وارزقنا همة عالية ، ووصولاً قريباً . اللهم آمين .

دعاء وتضرع .

يا الله يا رحمن – يا قريب يا مجيب ،ياذا الجلال والإكرام ، اللهم إنى أردت ما تريد ، وأحببت ما تحب ، ورضيت بما ترضى ، اللهم وإنى لا أملك نفسى ، فإنها ملكك ، اللهم فطوِّعها لما تريد ، وحببها فيما تحب ، ورضِّها بما ترضى .

اللهم إنى أشكو إليك صعوبة قيادتها ، فقدها أنت إليك ، ووصلها لرضوانك ، واحفظها على ما تحب ، ولا تضيعها .

اللهم إنى أحسن الظن بك ، وأنت عند ظن عبدك بك ، فلا تخيب فيك رجائى ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين

، وأنا العبد الضعيف الذليل .

إلهى وسيدى ومولاى !!!

ربى إنى أحسن بك ظنى ، وإنك لن تضيعنى وقد طرحت نفسى على بابك ، يا مولاى .اللهم فقُد خطاى إليك – ولو رغم أنفى – بلطفك وجودك وكرمك، ورفقك وحنانك . يا حنَّان يا منَّان .

(اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى ، فاقبل معذرتى ، وتعلم ما فى نفسى ، فاغفر لى ذنوبى ، اللهم إنى أسألك إيماناً يباشر قلبى ، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته علىَّ ، والرضا بما قسمته لى ، يا ذا الجلال والإكرام) .

(اللهم إنى أستغفرك من كل ذنبٍ ، تُبتُ إليك منه ثم عدت فيه ،

وأستغفرك من كل ما وعدتك به نفسى ولم أوف لك به ،

وأستغفرك من كل عملٍ أردتُ به وجهك فخالطه غيرك ،

وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علىَّ ، فاستعنت بها على معصيتك ،

وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته : فى ضياء النهار ، وسواد الليل ،

فى ملءٍ أو خلا ، سرٍ وعلانية ، يا حليم) .

اللهم وصلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

الخاتمة

وأخيراً : أرجو من الله أن أكون قد وُفقتُ فى كتابته ، وأعترف أن ما كان فيه من صواب فمن الله وحده ، منَّة منه ورحمة وفضلاً ، يتفضل به علىَّ { قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون } ، وأما ما كان فيه من خطءٍ فمن نفسى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان .

وأرجو من الله أن أكون قد وضحت السبيل لمن يريد ، ولا أدَّعى لنفسى الوصول ، ولكنه علم علمنيه ربى ، فأردت ألا أكتمه ، والدالُّ على الخير كفاعله ، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه ، وإنما كتبته رجاء أن يرزقنى الله القلب السليم ، وأن يهدى بى الناس إليه .

وفى الختام :-

أعوذ بالله أن أكون شمعة تضئ للناس ثم تحترق ، وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه ، وأن أعينكم عليه وأتركه ، وأسأله تعالى أن ينفعنى به وإياكم فى الدنيا والآخرة ، ويكتب لنا به سلامة قلوبنا ، والنجاة من كل كربات الدارين.

{ ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم }

{ ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب ، ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يُخلف الميعاد }

{ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار }

{ ربِّ اغفر لى ولوالدىَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب }

والحمد لله أولاً وأخيراً ، حمداً كثيراً طيباً وافراً مباركاً فيه ، يليق بعظمة ربى وجلال وجهه، والصلاة والسلام على خير الأنام .

{ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم } .

الفهرست !

المقدمة.....صـــ5
1- ما أهمية القلب السليم ؟ صـــ7
2- ما هو القلب السليم ؟.....صـــ10
تفسيرات السلف للقلب السليم.....صـــ10
تفسير ابن القيم للقلب السليم.....صـــ24
3- ما السبيل إلى القلب السليم ؟.....صـــ46
1- الدعاء صـــ46
2-العلم الشرعى صـــ51
3- القرآن صـــ52
4- تحقيق الإخلاص صـــ54
5- المجاهدة والصبر واليقين صـــ56
6- التوبة والاستغفار صـــ58
7- قوة الإيمان بالله صـــ60
8- مرافقة الصالحين ذوى القلب الذى يُظنُّ سلامته.....صـــ62

9- الانشغال بالطاعات صـ63

10- البعد عن الذنوب صـ65

11- تذكر الموت وما بعده ، والاستهانة بالدنيا وما فيها.....صـ67

4- ما الخطر على صاحب القلب السليم ؟ صـ69
الذنوب والمعاصى والغفلة صـ70
التقلب صـ72
الفتور صـ73
مفسدات القلوب صـ75
أرض الفتن ورفقة السوء صـ77
5- كيف نحافظ على سلامة قلوبنا ؟.....صـ79
الاعتصام بالله ، والفرار إليه صـ80
حراسة القلب ، والمداومة صـ82
البيئة الإيمانية ، والرفقة الصالحة .....صـ 83
شكر الله ، وتقواه صـ84
علو الهمة صـ86
دعاء صـ87
الخاتمة صـ89
الفهرست صـ91

إصدارات المؤلفة

الكتب:

1- "ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون".
2- أسرار صناعة النجاح.
3- الأسرار السبعة للسعادة الزوجية.
4- أسرار تربية الأطفال.
5- الأسرار السبعة للتمتع بالصحة.
6- المحاور الخمسة لضبط الحياة.
7- خواطر ودروس من مدرسة الحياة.

الكتيبات:

1- القلب السليم.
2- رسالتي إليك.
3- حقيقة المضافات الغذائية. غذاء أم سموم.

وللأطفال:

1- عقيدة الطفل المسلم.
2- مختارات من كتب الحديث.
3- أنا ناجح بمشيئة الله.